NICOLAOS AL-SAYEGH

ET SES POÈMES POUR LA SAINTE VIERGE

JOSEPH E. KAHALÉ

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܩܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܟܚܐ ܒܝܬ ܒܣܩ̈ܐ
ܘܢܘܒܪܐ ܡܢ ܒܢܝ̈ ܥܕܬܐ ܘܣܒܪܐ ܕܢܦܩ ܢܦܠ ܐܘ
ܒܝܬ ܠܗ ܣܦܪܐ ܟܠ ܕܢܦܩ ܗܘܐ ܠܗ ܣܦܪܐ ܒܝܬ
ܓܒܝ̈ܢܘܗܝ ܒܪܡܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܒܥܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

نيقولاوس الصائغ

وأشعاره في مدح مريم العذراء

© جميع الحقوق محفوظة
E-mail: ecrivainkahale@yahoo.fr
طُبع في دار الضاد للطباعة والنشر

حلب /٢٠٠٨

صدر هذا الكتاب لمناسبة مرور ٢٥٠ عاماً على

وفاة الخوري نيقولاوس الصائغ (١٧٥٦ - ٢٠٠٦)

في ذكرى المرحومين إلياس وفيكتوريا كحّالة

نيقولاوس الصائغ
وأشعاره في مدح مريم العذراء

جوزيف إلياس كحّالة

الكلمة
٢٠٠٨

هديّة مجلّة الكلمة
إلى قرّائها ونصرائها في الوطن والمهجر

الإهداء

إلى روح والديَ إلياس وفيكتوريا، اللذين زرعا في نفسي حبَ المطالعة والمعرفة. فإلى روحيهما الحبيبتين، أقدم كتابي هذا.

المحتوى

تقديم	بقلم الأستاذ جورج مراياتي	٩
تمهيد		٢١
الباب الأوّل	بدايات النهضة الثقافيّة	٢٣
الباب الثاني	شاعر حلب نيقولاوس الصائغ (١٦٩٢ - ١٧٥٦)	٢٩
الباب الثالث	أشعار نيقولاوس الصائغ في مدح مريم العذراء	٤١
المصادر والمراجع		٨٧
القسم الفرنسيّ		

تقديم

بقلم الأستاذ جورج مراياتي

مجلّة الكلمة   المدير المسؤول

طالما دأبت مجلّة "الكلمة" عبر سنوات صدورها الثلاث والثمانين على إتحاف قرّائها ومشتركيها بأعداد خاصّة تتوجّه إليهم إهداء، فائدة للقارئ، وتشجيعا لمسيرة المجلّة، ودعما للثقافة والفكر.

وقد حوتْ صفحات "الكلمة"، في أعدادها، ولا تزال، دراسات شتّى وإضاءات متنوّعة تعرّف بالشخصيّات الروحيّة والفكريّة والأدبيّة والاجتماعيّة المتفرّدة، التي كان لها السعي العظيم في التوق إلى الله والفضل الكريم في الرقيّ بالإنسان.

ولمّا كانت "الكلمة" نشرت في السنوات الأخيرة مقالات عديدة للباحث جوزيف إلياس كحّالة الحلبيّ السوريّ المقيم في باريس، تناولت في عناوينها أعلاما من التراث المسيحيّ من مثل عبد الله زاخر (الأعداد ٧-٨-٩/٢٠٠٥) وناوفيطوس نصري (٤-٥-٦/٢٠٠٦) ومكرديج الكسيح (١-٢-٣/٢٠٠٧) وأندراوس أخيجان (٤-٥-٦/٢٠٠٧) وميخائيل بجع (٧-٨-٩/٢٠٠٧) وبطرس التولاوي (١-٢-٣/٢٠٠٨) وبولس سباط (٤-٥-٦/٢٠٠٨) مع حفظ الألقاب، ومن أولئك الأعلام أيضا شاعر حلب نيقولاوس الصائغ (١٠-١١-١٢/٢٠٠٦)، فقد ارتأى حضرته، زيادة في الفائدة، التوسّع في دراسة الصائغ وجمع أشعاره التي قالها في مدح مريم العذراء.

وقد استقى كحّالة معطياته بين الدفّتين من ينابيعها، كما أورد في ثبت المصادر والمراجع، أمّا الأشعار فمن "ديوان الأب الفاضل والعالم العامل الصالح الذِكر الخوري نيقولاوس الصائغ، الرئيس العامّ على الرهبان الباسيليّين القانونيّين

المنتسبين إلى دير مار يوحنّا الشوير"، وقد رتّبه على حروف الهجاء في طبعة سادسة طُبعت في المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء المرسلين اليسوعيّين - بيروت سنة ١٨٩٠.

لقد أحسن باحثنا صنعاً لأنّ كتابه هذا يصدر والعالَم يحتفل هذا العام بمرور ١٥٠ سنة على ظهور السيّدة العذراء في مدينة لورد بفرنسا (١٨٥٨ - ٢٠٠٨)، وكان احتفل مؤخّراً - ولو على نحو ضيّق جدّاً! - بذكرى مرور ٢٥٠ سنة على وفاة الخوري العلاّمة نيقولاوس الصائغ ابن حلب البارّ (١٧٥٦ - ٢٠٠٦).

أمّا الصور التي زيّنت الصفحات فمأخوذة من مؤلّف تذكاريّ متميّز أنيق كان صدر للرهبانيَّة الباسيليَّة الحنّاويَّة (الحلبيَّة الشويريَّة) في يوبيلها المئويّ الثالث، ٤٠ صفحة، المطبعة البولسيَّة، جونيه - لبنان، ٢٠٠٧، بعنوان "٢٥٠ عاماً على وفاة الخوري العلاّمة نيقولاوس الصائغ ١٧٥٦ - ٢٠٠٦، الرئيس العامّ الثاني على الرهبانيَّة القانونيَّة الحنّاويَّة (الحلبيَّة - الشويريَّة)، واضع فرائضها، وذي الفضل العميم على ازدهارها". والصور كلّها معبّرة منتقاة خير انتقاء تضع القارئ في أجواء تلك الفترة على أكمل وجه.

الكنيسة ومريم العذراء: مريم أُمٌّ لنا في الإيمان

تُحيي الكنيسة تذكارات العذراء وتكرّمها كما يليق بأُمّ يسوع الفادي المسيح، الذي اتّخذ منها جسداً وتربّى على يديها المقدّستين. وهي تحيطها بهالة من الكرامة وتلوذ بها في المحن والصعوبات شفيعةً وحاميةً تُشعر المؤمن بالطمأنينة والسلام والفرح.

ولا يخفى على الكنيسة أن تعود، في سياق تكريمها مريم، إلى أساس إيمانها، إلى البُشرى التي كانت مريم خادمة لها، وفي قلب هذه البُشرى تجد مريم مكانها الحقيقيّ: مريم صارت باستقبالها كلمة الحياة الزرع المقدّس والنبت، الكلمة الجديدة، هذا النبت الذي اختاره الله وغذّاه بماويَّة الروح ليقدّم للبَشَريَّة عنقود الخلاص.

لقد عاشت مريم بُشراها في العمق، بخبرة إيمان فريدة، جعلتها تزداد يوما بعد يوم ثقة وتعلّقا بالذي اختارها وشاء أن يتجسّد منها. ويمكن أيّ مؤمن أن يتصوّر جذور الإيمان عند مريم ومسيرتها التصاعديّة لترافق ابنها من الحبل والولادة إلى الطفولة والشباب ورسالته طوال ثلاث سنوات مع النهاية المفجعة على الصليب، ومن ثمّ القيامة المجيدة والصعود إلى السماء. من هنا، فإنّ مريم هي، بامتياز، مثال وقدوة أمام كلّ مؤمن وعلى وجه الخصوص بإصغائها إلى كلمة الله وتقبّلها بطواعية والتأمّل فيها في قلبها. إنّها مريم المطيعة المتواضعة حتّى الفقر، المصلّية، الأمّ الصامتة.. إنّها المرأة العظيمة التي تذكّرنا، أوّلا وأخيرا، بعظمة الفادي المسيح.

مريم أمّ الحياة

في مطلع القرن الثاني الميلاديّ وجّه آباء الكنيسة القدّيسون نظرهم إلى "أمّ المسيح" "ابنة آدم بحسب سنّة الطبيعة، ولكنّها منزّهة عن كلّ عيب" باختيار الله لها. وفي منتصف القرن نفسه قارن يُسطينُس بين حوّاء الأولى وحوّاء الثانية وخلص إلى القول: "حوّاء الأولى بمعصيتها، جرّت الموت إلى العالم، وحوّاء الثانية بطاعتها، أفاضت الحياة"، ومن هنا نشأ لقب مريم بأمّ الحياة.

إنّ جوهر السرّ المريميّ أنّ الله اصطفى مريم دون سائر النساء لرسالة خاصّة فدخلت دعوتها في مخطّطه الخلاصيّ. إنّها رسالة الأمومة، بل الأمومة في أسمى درجاتها. وهل من شرف أسمى من شرف الأمومة!؟

مريم في موتها: تكريمٌ فائق

إنّ شرف الأمومة الإلهيّة، هذا الذي حظيت به مريم، كان مدعاة تمجيدها نَفْساً وجسداً، ونقلها، بعد مرور خاطف في الموت، حيّة إلى الأخدار السماويّة فتُصبح باكورة المخلّصين الممجّدين من نسل آدم.

إنّ الشرق المسيحيّ، في أعقاب مجمع أفسس (٤٣١م)، كما هو متوقّع، بدأ يعيّد لانتقال مريم، بالنَفْس والجسد، إلى السماء، وهو يعترف بموتها، إنّما موتٌ لم

يعقبه فساد. والتأكيد أنّ الكنيسة الشرقيّة كانت السبّاقة في إحياء هذا العيد: رقاد العذراء وانتقالها بالنفْس والجسد إلى السماء. وقد نقل البابا سرجيوس الأوّل (٦٨٧ - ٧٠١)، السوريّ الأصل، يوم قصد روما، تراث الشرق في حبّه للعذراء وتكريمه الفائق لها.

وتصل بنا القرون إلى العام ١٨٥٤ (٨ كانون الأوّل) وفيه أعلن البابا بيّوس التاسع عقيدة "الحبل المنزَّه عن كلّ دنس"، ومنه إلى تشرين الثاني ١٩٥٠ لمّا أعلن البابا بيّوس الثاني عشر عقيدة انتقال السيّدة بالنَفْس والجسد إلى مجد السماء، مصرّحاً، في خطاب تاريخيّ، أنّه لا يأتي بجديد بل يحترم تقليد الآباء "محافظين على وديعة الإيمان كما تسلّمناها".

وهكذا فإنّ هذا التكريم للجسد الطاهر الذي حمل الفادي وغذّاه، هو ركيزة من ركائز الرجاء المسيحيّ، ودعوة إيمانيَّة لحياة خالدة "حيث لا وجع ولا حزن ولا بكاء..".

حضور مريم في تراث الكنيسة الشرقيَّة حضورٌ مكثّف

إنّ حضور مريم العذراء في تراث الكنيسة على اختلاف أصولها، وفي ليتُرجيّاتها (خدمة الصلاة والعبادة للّه)، حضورٌ مكثّف جدّاً ينبع من تراكم عباديّ متصاعد عبر العصور المسيحيَّة. لقد ترافقت العبادة المريميَّة في مختلف الكنائس الشرقيَّة. واختارت هذه الكنائس الأعياد المتعلّقة بالعذراء بقدر ما لا تمسّ هذه الأعياد بالعقيدة.

ومع مدائح الشعر التي نظمها آباء الكنيسة الشرقيّون في مريم العذراء. ظهرت مؤلّفات عديدة تاريخيَّة واجتماعيَّة وعقيديَّة ورعويَّة.. تبحث عن تقاليد المؤمنين في أعياد العذراء، وكانت ينابيع هذه المؤلّفات مئات الأديرة والكنائس والمعابد والمزارات المنتشرة في العالم عامّة وفي الشرق خاصّة.

إنّ أعياد مريم وتذكاراتها واحتفالاتها وألقابها وصلواتها وتضرّعاتها وأناشيدها وطلباتها وترانيمها... حاضرة بعمق في الرتب الكنسيَّة وترافق المشتركين فيها

مرحلةً مرحلة في استفاضة لافتة محبّبة إلى القلوب.

ويُضاف إلى ذلك كلّه الإكرامات التقوية المريميّة الشعبيّة المنتشرة انتشارا واسعاً في أوساط مؤمني كنيسة المشرق.. كنيسة الأرض المقدسة. كالشهر المريميّ (شهر أيّار) وتلاوة السُبحة الورديّة والزيّاحات المتنوّعة، إلى الأخويّات المريميّة ورحلات الحجّ إلى المزارات المنتشرة في العالم وغير ذلك.

وهذا ما يُثبت دور الطقوس في عيش الإيمان، ومكانة العذراء مريم في التعبير عن الإيمان من خلال الطقوس. ولعلّ المؤمنين، على مختلف أعمارهم وأجناسهم، إذ يكرّمون العذراء مريم لا يكرّمونها مجرّدة عن ابنها الإلهيّ، بل في ارتباط وثيق بسرّ المسيح، ارتباط يستمدّ ديمومته باستمرار هذا السرّ. وما التوافق، بل الإجماع الكنسيّ بشان منزلة العذراء سوى تعزيز للإيمان المسيحيّ، الذي تلتقي ألوان أشعّته في شمس الحقيقة لتكشف عن السرّ المكنون قبل الدهور وتروي ظمأ العقول والقلوب.

العذراء في الإسلام وعند المسلمين

وليس إكرام مريم وقفا على المسيحيّين وحدهم في هذه المسكونة إذ إنّ للسيّدة مريم العذراء في الإسلام وعند المسلمين مكانة كبيرة ومميّزة أيضا. تظهر هذه المكانة في القرآن الكريم، حيث خُصّت بسورة من سوره، وتردّد اسمها فيه ثلاثا وثلاثين مرّة، موصوفة بالطهر والعفاف والتفضيل على نساء الدّنيا. تظهر مكانة مريم أيضا في الحديث الشريف وفي سلوك المسلمين وأسماء بناتهم وغير هذا كثير.. وهذا تكريمٌ لم تحظ به سوى السيّدة مريم العذراء.

حلب وحياتها الأدبيّة

لقد ابتدأت حياة حلب الأدبيّة من عصور طويلة، حتّى إنها جارت سابقا حواضر المدن في مدارسها وأدبائها وعدد كتبتها المبرّزين.

وإذا مرّت بالعلوم والآداب فترات كسدت فيها بسبب الحروب والضيقات، وما

أكثرها! إلاّ أنّ هذا الونى لم يمدّ أطنابه على حلب زمناً طويلاً. فهبّت بعد عهد قريب في أهل الشهباء حميَّة جديدة ودبّ في قلوبهم حبّ الآداب وسمق بهم إلى كلّ المساعي الجليلة.

فما كادت تسطع أنوار القرن السابع عشر حتّى صارت حلب حلبة جرت فيها مذكيات العقول وتسابقت في مجالها الفرسان الفحول، وجرى ما جرى من التقدّم في الآداب بين نصارى الشهباء. وما إن أطلّ القرن الثامن عشر، الذي يعدّ في نهضة حلب الأدبيَّة (القرن الذهبيّ) على حدّ تعبير الطيّب الذكر الأب لويس شيخو، حتّى كانت حلب بمطبعتها الرائدة، وكانت تآليف الحلبيّين الغزيرة التي فاقت، وفق ما أُحصي عنها آنذاك، تآليف كلّ من سورية ومصر والعراق مجتمعة. وقد اشتهر من بين هؤلاء الأعلام، على تعدّد طوائفهم، عصبة كريمة أنبتتها أرض حلب الشهباء فضلاً وأدباً ودِيناً وعلماً، أعضاؤها: القسّ جبرائيل (المطران جرمانُس) المارونيّ، والشمّاس عبد الله الزاخر الملكيّ، والخوري نيقولاوس الصائغ الرئيس العامّ على الرهبانيّة الباسيليَّة الحنّاويَّة، ومكرديج الكسيح الأرمنيّ. كان هؤلاء الأربعة الأقطاب، أو عصبة الأدب، يرسلون أنوار معارفهم وعوارفهم إلى جميع الناطقين بلغة الضاد في أنحاء الشرق العربيّ، فأصبحت الشهباء تيّاهة بهم، مدلّة بأدبهم الرفيع ونتاج قلمهم البليغ. وكانوا من خيرة الأصدقاء الصلحاء الأوفياء، تربطهم رابطة الوطن والإخاء والوفاء وتشدّهم أواصر الدين والعِلم والفضل في الأخلاق والأذواق.

نيقولاوس الصائغ وجهٌ حلبيّ مشرق

منذ أن ترعرع نيقولاوس الصائغ في حضن أبويه الملكيّين، العريقين في الفضل والتقوى، فتىً صالحاً ذا تقىً وذكاء عجيبين حتّى أنس في محيطه تلك النهضة الأدبيّة التي استفزّ لها أقرانه فانضمّ إليهم ناهلاً من مَعين مَن سبقوه، ولا سيّما فرحات أستاذه.

ولمّا عرف أنّ بعضاً من أهل وطنه انقطعوا إلى الله في لبنان، شعر، هو الآخَر، بالدعوة إلى الحياة الرهبانيّة فودّع الشهباء وتنسّك في دير مار يوحنّا الصابغ

(المعمدان) في قرية الشوير، الذي أسّسه خمسة رهبان حلبيّين. ومضى على سنن الفضائل الكريمة حتّى عُدَّ من أرسخ الرهبان قدماً في العيشة الفُضلى والدأب على العلوم.

ولمّا لمس إخوانه أنّه مختار من الله ليدبّر جماعتهم وقع اختيارهم عليه للرئاسة العامّة (١٧٢٧) رئيساً ثانياً. ثمّ عادوا وكرّروا انتخابه تسع مرّات متوالية. وكان هو يُعنى بأمور رهبانيّته عناية تامّة بكلّ ما أُوتي من حنكة وجلد وعزيمة. وإليه يعود الفضل في وضع قوانين رهبانيّته التي أثبتها الكرسيّ الرسوليّ السنة ١٧٥٧، إضافةً إلى إنجازات لا تُحصى قام بها وإنعامات كثيرة حصدها له ولرفاقه في الدرب.

الرهبانيّة الباسيليّة: النشأة والتسميات

كثير منّا يسأل عن نشأة هذه الرهبانيّة وأقسامها وتسميتها. ولعلّنا نجد أوفى خلاصة عن ذلك لدى الفيكونت فيليب دي طرّازي في مؤلّفه "السلاسل التاريخيّة في أساقفة الأبرشيّات السريانيّة". ومن بعض ما يقول:

أُنشئت الرهبانيّة الباسيليّة في دير مار يوحنّا الصابغ السنة ١٦٩٧ عند قرية الشوير [المتن الشماليّ، قرب قرية الخنشارة، ٩٥٠م عن سطح البحر، ٢٨ كم عن بيروت] ولذلك فإنّها سُمّيت "حنّاويّة" نسبة إلى شفيع ديرها الأصليّ و"شويريّة" نسبة إلى مركز الدير المذكور. ولقد قُسمت هذه الرهبانيّة السنة ١٨٢٩ إلى "رهبانيّة باسيليّة بلديّة" و"رهبانيّة باسيليّة حلبيّة". فالقسم الحلبيّ اختصّ بأهل حلب والقسم البلديّ لبقيّة الأنحاء. ولدير مار يوحنّا مطبعة قديمة يرتقي عهدها، كما نعلم، إلى أوائل الربع الثاني من القرن الثامن عشر، أنشأها الشمّاس عبد الله زاخر بعد أن غادر حلب. وينتمي إلى هذه الرهبانيّة رهبانيّة أُخرى للنساء تأسّست العام ١٧١٩ بعناية ثماني راهبات في دير البشارة تبعنَ قانون القدّيس باسيليوس الكبير، ثمّ أثبت الكرسي الرسوليّ فرائضهنّ السنة ١٧٦٣. فلمّا جرى الانقسام العام ١٨٢٩ بين الرهبان شملت القسمة أيضاً أديرة الراهبات التي صار بعضها حلبيّاً وبعضها بلديّاً... (ص٨٠ و٨١).

الصائغ: شعره ومدائحه المريميَّة

أُولع الصائغ، إذاً، بالآداب العربيّة منذ حداثة سنّه. ومع ترهّبه وانشغالاته في ادارة رهبانيّته، لم ينأ عن الكتابة والتأليف.

فمع نتاجه المتنوّع، جمع معاصروه شعره في ديوان كبير، كان ظهوره أوّل مرّة السنة ١٨٥٩ بمطبعة الآباء اليسوعيّين، ثمّ أعاد فيه النظر العلاّمة الشيخ إبراهيم اليازجي فنقّحه وطُبع بعد ذلك مراراً.

نسج نيقولاوس الصائغ على منوال أستاذه جرمانُس فرحات فقد عالج فنون الشعر مثله بموهبة خصيبة متّقدة. وثمّة من يأخذ على كليهما التسامح بجوازات العروض على نحو غير مأنوس، من دون إغفال أهمّيَّة ما نظماه بوصفهما من المقدَّمين في النهضة الأدبيَّة الحديثة.

ونلحظ اتّجاهات فنّيَّة لا بأس بها في شعر الصائغ. مثل إيراده الألغاز والأحاجي في أبياته، وتأريخه للأحداث بحساب الجمّل، سواء باعتماده التاريخ الميلاديّ أو الهجريّ. واعتماده التشطير والتشريع والتخيير والتجنيس (في القوافي) ولزوم ما يلزم (الإعنات)... إلى جانب دخوله ميدان الموشّح، كما في موشّحه العذب الجميل "إنّني أشكو فواجي الألمِ..". يمدح فيه مريم البتول.

وجنباً إلى جنب مع مدح ربّ الأكوان يأتي مدح العذراء مريم موضوعاً أساسيّاً من بين موضوعات شعر الصائغ.. حتّى إنّنا نجد طيفها يخيّم على مجمل شعره.

تغنّى بحسنها وطُهرها وقداستها وسموّ شأنها... وأفاض في نظم الشعر فيها، حتّى لتستحقّ أشعاره المريميّة فعلاً أن تُجمع في كتاب خاصّ، على نحو ما فعل باحثنا كحّالة، الذي ما اكتفى بإيراد قصائد الصائغ الكاملة التي كرّسها لمديح مريم، بل بحث في القصائد المتنوّعة الأُخرى المنثورة في طيّ الديوان مجتزئاً منها ما توجّه إلى مريم التي كان لها الفسيح الرحب في رؤى شاعرنا، الذي لا يكاد يختم قصيدة له، أيّاً كان موضوعها، إلاّ ويذكرها!

في ديوان الصائغ قصيدة قوامها ٩٥ بيتاً يشكو فيها غدر أحد المنافقين، قالها

سنة ١٧٢٣. وقد توجّه في نهايتها (٢٢ بيتا، أي ما يعادل الربع!) إلى العذراء مريم ملتجئاً مادحاً. ولقد أفدنا من قراءتها في هذا الكتاب في تبرئة ساحة جامعي ديوان الخوري نيقولاوس الصائغ، إذ إنّ الأب لويس شيخو في مؤلّفه "شعراء النصرانيّة بعد الإسلام" (دار المشرق، ط٥، ١٩٩٩، ص٤٦٩ - ٤٧٠) يذكر ٢٠ بيتا "ممّا فات جامعي ديوان الخوري نقولا الصائغ قولُه في مديح مريم العذراء (من الكامل)". ولكنّنا وجدنا هذه الأبيات في القصيدة التي أشرنا إليها. وفيها صواب وكمال لعدد من الأبيات التي وردت في "شعراء النصرانيّة...". والرأي أنّ اختلاف صدر البيت الأوّل من مجموعة الأبيات التي وصلت إلى يد الأب شيخو وخروجه عن الترتيب هو ما أدّى إلى هذا اللبس.

من ناحية أُخرى، فالملاحظ أنّ هذا العشق المريميّ واتّخاذ مريم العذراء الأُمّ والحامية والشفيعة... انسحب على عدد من شعراء ذلك الزمان، إلى حدّ رغبتهم في الأخذ عمّن سبقهم تلك العبارات والصور البيانيّة التي وقعت في قلوبهم موقع الاستحسان!

يقول نيقولاوس الصائغ في مدح العذراء (الديوان، ص٢٤٣):

حقٌّ على الأفلاكِ مدحُكِ في العُلى | لو كان للأفلاكِ نطقٌ أَو فمُ

وكان سبقه أستاذه الطيّب الذكر جرمانُس فرحات في مدح العذراء، فقال:

لو كان للأفلاكِ نطقٌ أَو فمُ | لترنّموا بمديحكِ يا مريمُ

لقد أضحى صدر بيت فرحات عجزا لدى الصائغ!

ونذكر هنا أيضاً في الزمن التالي تخميسا للشمّاس حنّا المارونيّ، الذي كان يقول الشعر الحسن في الموضوعات الدينيّة لكنّ أكثر شعره فُقد:

كلُّ النبيّين الذين تقدّموا | في مدح سيّدة الأنام تكلّموا
فلذا يناديها الفؤادُ المغرَمُ | لو كان للأفلاكِ نطقٌ أَو فمُ

لترنّموا بمديحكِ يا مريمُ

فما أجمل هذا النحو بين أولئك الرجال، حتّى لكأنّهم أشبه بنسّاكنا، أبطال الله "العموديّين"، الذين كانوا يتجاوبون على ذرا أعمدتهم الصلاةَ الواحدة واللفظةَ الواحدة فيتردّد الصدى عبر قفارنا وتلالنا تسبحةَ شكر لله وطلبَ مغفرة للعباد!

إنّ قصائد نيقولاوس الصائغ في مدح البتول، العذراء مريم، هي من الجَمال والجزالة بمكان. وفوق هذا وذاك فقد واكبت إكرام المؤمنين في حلب وخارجها لهذه الشخصيَّة المُثلى فطربوا لها أيّما طرب وراحوا يتذوّقونها في كلّ مناسبة. وليس بعيداً أن تكون مدائح الصائغ المريميَّة اليوم مزيّنةً جدران وأسقف بيوتاتنا ومعابدنا الحلبيَّة القديمة التي تحفل ببدائع الشعر الإيمانيّ والحكميّ على نحو قلّ نظيره وفي إبداعات تلوينيَّة تسحر الألباب.

وكلّ ما يُرجى هو البحث، عن هذه الكنوز الأدبيَّة المتروكة، التي تكاد تنأى عنها الأيادي، وقراءتها، وتوثيقها، والعودة إلى ناظميها، ومقارنتها بآثارهم، وتسليط الضوء عليهم، والعودة إلى التغنّي بأشعارهم من أمثال الصائغ وغيره.. ففي هذا وفاء للحلبيّين ولتقواهم المتألّقة على مرّ العصور.

الباحث جوزيف إلياس كحّالة في سطور

وقبل أن نختم يطيب لنا أن نعرّف بالباحث كحّالة فنقول:

وُلِد الدكتور جوزيف إلياس كحّالة بحلب العام ١٩٥٨. أتمّ دراسته بين حلب، ولبنان، وإيطاليا، وفرنسا، التي يُقيم فيها منذ العام ١٩٨٤. تخصّص في الفلسفة العربيَّة المسيحيَّة في العصر الذهبيّ للإسلام، وفي فلسفة التصوّف الإسلاميّ، وفي تاريخ الكنيسة الملكيَّة الأنطاكيَّة.

له عدّة مؤلّفات باللغة الفرنسيَّة: التصوّف وكبار مشايخه (باريس - عدّة طبعات). التصوّف والحُبّ الإلهيّ (باريس ٢٠٠٢). عبد الله زاخر، فيلسوف ولاهوتيّ (باريس ٢٠٠٠). تاريخ بطاركة أنطاكية الملكيّين منذ العام ١٧٢٤ (باريس ٢٠٠٠). مدخل إلى تاريخ الرهبانيَّة الشويريَّة (باريس، عدّة طبعات).

وله باللغة العربيّة: عبد الله زاخر مبتكر المطبعة العربيّة (دار مركز الإنماء الحضاريّ، حلب ٢٠٠٢). التصوّف الإسلاميّ، تاريخ وأعلام (دار إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٣). تاريخ كنيسة الروم الملكيّين في حلب (دار ماردين - توزيع المكتبة السريانيَّة، حلب ٢٠٠٥). التصوّف الإسلاميّ، مصادر وأعلام (دار إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٦). عبد الله الزاخر الحلبيّ، مبتكر المطبعة العربيَّة في الشرق (الطبعة الثانية باللغتين العربيّة والفرنسيّة) منشورات حلب عاصمةً للثقافة الإسلاميَّة والمكتبة السريانيّة، حلب ٢٠٠٦. البطريرك مكاريوس ابن الزعيم (المكتبة السريانيَّة. حلب ٢٠٠٧). كما له مقالات ودراسات منشورة في عدّة مجلاّت عالَميَّة.

ختاماً، بارك الله في جهود الباحث العزيز كحّالة وهو يضع في أيدينا نتاجاً جديداً، فنضمّه إلى قلوبنا كمولود جديد. ونروح نبحث عمّن نزفّ إليه البُشرى.. وينطلق الحديث عمّا في السطور. يترجمها كلمة كلمة، ويتلذّذ بها، متنقّلاً من عنوان إلى آخَر، كما الطائر يتلذّذ متنقّلا من غصن إلى آخر..

هو عالَم جميل يخترق الصحائف ليلد عالماً آخر آجمل، ونحن فيه متقاسمون، راضون بالقسمة الحلال.. ويا له من سخاء.. هكذا تزخر الحياة في طيّ العطاء بشتّى مظاهره.

وإنّنا إذ يطيب لنا التقديم نتمنّى آن يزيّن هذا الكتاب مكتبة القارئ العزيز على اختلاف معتقده. ونشدّ على يد الباحث كحّالة متوجّهين بالشكر الجزيل إليه وإلى كلّ مَن جهد معنا في إخراج هذا العمل.

تمهيد

احتفلت الكنيسة الملكيَّة الكاثوليكيَّة الأنطاكيَّة، في السابع عشر من شهر كانون الأوّل للعام ٢٠٠٦، بذكرى رحيل علم من أعلامها الكبار، انتقل، من هذه الدُنيا، إلى الحياة الأبديَّة، لدى المولى خالق الأكوان.

إنّه عَلَم، بل كوكب أضاء الحياة الصوفيَّة النسكيّة، في الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيَّة. عمل في حياته على تثقيف جمهرة من الرهبان وإرشادهم. وكان لهم المثال الصالح بعمله وفضائله. والراعي الأمين على خرافه. والنُور في الطريق. والحارس الساهر على حياتهم الروحيَّة والعلمانيَّة. حتّى ليستحقّ أن تُطلق عليه التسمية: "أبو الحياة الروحيّة" في الكنيسة الملكيَّة الأنطاكيَّة، في العصر الحديث. كيف لا وهو من وضع فرائض الرهبان والراهبات، وأرسلها إلى روما، فأثبتها البابا، بعد أن راجعها بدقّة...؟ وأكثر من ذلك.. إنّه شاعر حلب، الخوري نيقولاوس الصائغ.

كُتب الكثير عن النهضة الفكريّة الحلبيّة في القرن التاسع عشر. وأسند إليها الكثيرون، ما مفاده، أنّها كانت منطلق الحياة الفكريّة الحلبيّة، إلى البلاد العربيّة. لكنّنا نرى غير ذلك، فنقول: إنّ النهضة الفكريّة الحلبيّة، كانت قد بدأت بشكل خجول في القرن السابع عشر. وتابعت مسيرها، مع روّادها في القرن الثامن عشر. وهذا واحد من أولئك الروّاد. فنيقولاوس الصائغ، لم يكن صوفيّاً ناسكاً وحسب، بل كان كاتباً ومؤرِّخاً، إذ ترك لنا تاريخ الرهبانيّة الحنّاويّة منذ تأسيسها إلى آخِر أيّام حياته. كذلك كان شاعرا. فقد ترك لنا ديوان شعر، وضع فيه منظومات شعريَّة تناول فيها موضوعات كثيرة، متعدّدة المحاور. اعتمد فيها الأساليب الأدبيَّة والفنيَّة، التي كانت سائدة آنذاك. وقد أثبت في نظم أشعاره براعته ومقدرته

الأدبيّة، سواء في وصف الأحداث، أو في تأريخ الأمور. مُسايراً بذلك روح عصره وأذواق معاصريه، في ما مالوا إليه.

هذا الكتاب

إنّ الهدف من هذا الكتاب، التعريف بواحد من أعلام حلب في القرن الثامن عشر. وقد عاصر ابن عمّه فيلسوف حلب، ومبتكر المطبعة العربيّة في الشرق، عبد الله زاخر.

ولقد أردنا من خلال الصفحات، أن نُحْيي الذكرى المئتين والخمسين على وفاة الخوري نيقولاوس الصائغ. كذلك أن نجمع وننشر له قصائده المريميّة البديعة، التي تغنّى فيها بالعذراء مريم، وبمكانتها. فمدحها وأكثر في مدحها (الديوان، ص٢٤٣):

فَلأَمْدَحَنَّكِ ما حَييتُ وإنْ أَمُتْ فَلتَمْدَحَنَّكِ تُرْبَتي والأعظُمُ

وأخيراً فإنّنا، مع شقيقنا جورج وشقيقتنا ماري صولانج، نقدّم هذا الكتاب ذكرى لوفاة والدينا المرحومين، إلياس وفيكتوريا كحّالة، رحمهما الله جزيل الرحمة.

ولا يسعنا إلاّ أن نشكر "جمعيّة مشاريع الكلمة الخيريّة بحلب" وإدارة مجلّتها "الكلمة" للاهتمام الذي أبدته ولسعيها معنا، يداً في يد، في تحقيق ما عزمنا عليه.

باريس - ١١ أيّار ٢٠٠٨ جوزيف إلياس كحّالة

بدايات النهضة الثقافيَّة

بدأت النهضة الفكريَّة في حلب، على يد المطران غريغوريوس ابن الفضيل، مطران الروم بحلب (نهاية القرن السادس عشر). وكان لا بدّ لها من الاستمرار، لتصل في ما بعد إلى ما وصلت إليه في القرن الثامن عشر، وما تلاه.

إنّ بزوغ خيوط هذه النهضة ثمّ اندفاعها يعبّران عن آنّ الحياة الفكريّة في القرن الثامن عشر لم تكن في حالة جمود كما يصوّرها لنا عدد من المؤرّخين، أمثال فيليب حتّي[1]. بل كانت في حالة نهضويَّة وفي انطلاقة. وأكبر دليل على ذلك شعراء ذاك القرن وعلماؤه. كما أنّ هؤلاء لا ينفون وجود عدد من الأمّيّين الذين لا يجيدون القراءة والكتابة. وهذا ما يؤكّده الرحّالة رَسل[2]، في كلامه على حلب في القرن الثامن عشر.

لم يكن النظام التعليميّ في القرن الثامن عشر، كما هو الحال في يومنا هذا. لكنّ هذا لا ينفي وجود عدد لا يستهان به من المدارس، التي كانت موزّعة على أكثر من بلد من بلاد الشام. لعلّ أهمّها مدارس حلب التي كان يتلقّى فيها الطالب دروسه في علوم البيان والبلاغة والعروض والمنطق ومبادئ الرياضيات، بالإضافة إلى التصوّف. وفي نهاية العام الدراسيّ لم يكن هناك من شهادة تُعطى أو امتحان يُجرى. بل كلّ ما في الأمر إجازة يمنحها المعلّم - وغالباً ما يكون الشيخ - لتلميذه، فيصبح بها أهلاً للتعليم. أمّا عن مواقع هذه المدارس فكانت غالباً إمّا في المساجد أو في جوار الكنائس.

---

(١) حتّي، فيليب، تاريخ سورية...، ج٢، ص٣٢١.

(٢) Russel, A., *The Natural History of Aleppo*, v. II, p. 91.

لم تكن المدارس بحلب حديثة العهد، بل هي جِدّ قديمة، وتعود إلى ما قبل العهد العثمانيّ. وقد كان في حلب ثلاث مدارس للطبّ في زمن صلاح الدِين الظاهر غياث الدِين غازي. وقد استمرّت هذه المدارس حتّى القرن الثامن عشر[٣]. وقد أمّها كثير من أطبّاء العرب في تلك العصور، ولعلّ أشهرهم، أبو الخير بن شرارة، الطبيب والمؤرّخ، وكذلك ابن بطلان، الفيلسوف والطبيب، وأيضاً حسنون الطبيب الرهاويّ، الذي قدم إلى حلب في بداية القرن الثالث عشر، ثمّ مرض، ومات ودُفن في حلب. أمّا عن مدارس الفلسفة، فكانت عديدة أيضاً، ودليل ذلك، أن قصدها كبار الفلاسفة العرب، أمثال الفارابيّ، والسهرورديّ، وابن عربيّ، وغيرهم من الفلاسفة.

يصف لنا الرحّالة رَسل بعض مدارس حلب الملاصقة لمساجدها الكُبرى، (مدرسة نهاريَّة للصبية، مدرّسوها شيوخ لهم رواتب ثابتة. من خلال نوافذها العريضة يرى التلاميذ الشارع، وإذا قرؤوا جميعاً بصوت عالٍ سُمعت أصواتهم إلى مسافة بعيدة، أمّا أجسامهم فكانت في حركة تميل إلى الأمام وإلى الوراء، كما يفعل الرجال حين يتلون القرآن.. أمّا المدارس المعدّة لمَن هم أكبر سنّاً، فهي قليلة العدد)[٤].

كان هذا على صعيد مدينة حلب. أمّا في بلاد الشام، فكانت هناك مدارس قائمة في دمشق، وحمص، وطرابلس، وصيدا، والقدس... وكذلك في جبل لبنان. فالمدارس فيه، لم تعرف الانقطاع. لكنّ أشهر مدارس القرن الثامن عشر، مدرسة عينطورة، التي أنشأها الأب بطرس مبارك اليسوعيّ، سنة ١٧٣٤. وقد تولّى بعدها إنشاء المدارس، في وادي شحرور ١٧٥١، ودرعون ١٧٥٧، وجبيل ١٧٦٢، وزحلة ١٧٦٩، ودير القمر ١٧٨٢، وبزمّار سنة ١٧٩٧.

---

[٣] المرجع السابق، ص٩٢- ٩٣.

[٤] المرجع السابق، ص١١٧/ عانوتي، أسامة، الحركة الأدبيَّة في بلاد الشام...، ص٣٢.

أعطى إنشاء المدارس وازدهارها، زخماً لنسّاخ الكتب الذين تكاثر عددهم وألّفوا حولهم ما نستطيع تسميته دار نشر. فهذا عبد المسيح لبيان، تعاطى مهنة النسخ منذ شبابه إلى آخر حياته. وكذلك عبد المعطي بن معتوق، تعاطى مهنة النسخ والخطّ، بعد أن فقد ثروته. لكنّ أشهرهم على الإطلاق، كان عبد اللّه زاخر، الذي جمع حوله حلقة من النسّاخ في مدينة حلب، ثمّ في دير الشوير - لبنان.

دَور المرسلين الأجانب

دخل المبشّرون الأوربّيّون الشرق العربيّ عبر بوّابة حلب الشهباء. فوصلها الآباء اليسوعيّون في ٣ آب ١٦٢٥. ثمّ تبعهم الآباء اللعازريّون والكبوشيّون وغيرهم من المبشّرين الأوربّيّين.

إنّ الأثر الأكبر الذي أدخله المبشّرون معهم إلى حلب، هو بثّ الثقافة الأوربّيّة بين أبناء الكنيسة. فأسّسوا المدارس، وعلّموا فيها اللغات الأوربّيّة، بالإضافة إلى علوم الفلسفة واللاهوت. فحرّكوا المجتمع فكريّاً. كما قاموا بترجمات من اللغات الأوربّيّة إلى العربيّة. وقد ساعدهم في ضبط النصوص لغويّاً أبناء البلد، الذين تتلمذوا على أيديهم. وذلك لأنّهم لم يتمكّنوا من اللغة العربيّة، ولم يجيدوا قواعدها ودقائقها، بل كانوا يجيدونها لفظاً ومحادثة. فهاك مثلاً الأب بطرس فروماج اليسوعيّ، فإنّه كان يترجم المؤلّفات إلى اللغة العربيّة، ثمّ يدفعها إلى عبد اللّه زاخر ليقوم بإعادة ضبط نصوصها لغويّاً، ليفهمها قرّاء العربيّة [٥].

إنّ دخول المبشّرين إلى حلب، وبثّهم روح المعرفة بين أبناء الكنيسة، وإدخالهم طرائق جديدة للتعليم، حوّل أنظار الحلبيّين إليهم. ونشطت بين هؤلاء

---

[٥] راجع مراسلات عبد الله زاخر وبطرس فروماج، مخطوط المكتبة المارونيّة حلب، رقم ٢٦٧.

حركة نسخ المؤلّفات في القرن السابع عشر، وما بعد. واتّجهت عقولهم نحو التأليف باللغة العربيَّة الفُصحى. فكان في طليعة المؤلّفين باللغة العربيَّة الشمّاس أستفازادور الأرمنيّ، الذي بدأ بكتابة كتاب الطقوس، ولم ينتهِ منه. ثمّ تبعه مكرديج الكسيح الأرمنيّ، الذي ألَّف سنة ١٦٩٠، كتاب ظلّ الكمال في تثقيف الأعمال. أمّا الخوري يوحنّا بن زندا الحلبيّ، فقد ألَّف كتاب الناموس الشريف والمصحف العالي المنيف في الحقّ القانونيّ. وهو كتاب يشمل بالإضافة إلى الأمور الدينيَّة، معظم الأمور الحياتيَّة [٦].

استمرّت انطلاقة الحركة الفكريَّة في القرن السابع عشر، لتدخل القرن الثامن عشر. فهاك البطريرك أثناسيوس دبّاس يعهد بتثقيف عدد من شبّان حلب في علوم الفلسفة واللاهوت، إلى الشمّاس عبد الله زاخر، الذي أسّس سنة ١٧٠٦ أوّل مطبعة عربيَّة في الشرق، بدعم من البطريرك دبّاس. وولادة المطبعة، كان نتيجة هذا التفاعل الفكريّ، الذي حدث في القرن السابع عشر، وبلغ ذروته في مستهلّ القرن الثامن عشر [٧].

وإنّ تعلّم فئة من شبّان حلب، اللغة العربيَّة الفُصحى وقواعدها في البيان والعروض، على يد أحد أشهر علماء المدينة، الشيخ سليمان النحويّ. حرّك فيهم الرغبة في الكتابة والتأليف. فكان أن أبدع جرمانُس فرحات الحلبيّ في وضع مؤلّفاته في قواعد اللغة العربيَّة وصرف النحو. وأصبح بعضهم كتبة، أمثال عبد الله زاخر، ونعمة الله بن توما الحلبيّ، ومكرديج الكسيح، وغيرهم. وبعضهم الآخَر شعراء موهوبين، أمثال إبراهيم الحكيم، ونيقولاوس الصائغ...

---

[٦] توتل، فردينان، وثائق تاريخيَّة عن حلب...، ص٤٣.

[٧] راجع كتابنا "عبد الله الزاخر الحلبيّ، مبتكر المطبعة العربيَّة في الشرق"، حلب - سورية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦.

– الخوري نيقولاوس الصائغ بريشة عبد اللّه زاخر
– الشمّاس عبد اللّه زاخر بريشة الزاخر نفسه
– شجرة العائلة: الخوري يوحنّا الحمويّ

شاعر حلب

نيقولاوس الصائغ (١٦٩٢ - ١٧٥٦)

يـا حَبَّـذا حلـبُ المُنيفـةُ إنهـا ... أرضٌ تَنـاهى حُـسنُها وبَهاؤهـا
أللّه زِدْهـا عـزَّةً ومهابـةً ... حتّـى تـذلّ لعزِّهـا أعـداؤها[1]

أنبتت حلب الشهباء، في القرنين السابع عشر والثامن عشر - كما مهّدنا - مجموعة رجال من ذوي العلم والأدب. وغذّتهم بمائها الطيّب. وأنعشتهم بهوائها الصافي. وألبستهم تاريخها الحافل حلّة، ليفخروا به أمام العالم. وغطّتهم بسمائها الصافية، كما تغطّي الطيور فراخها. وأطعمتهم من أرضها الطيّبة، ثمّ أرسلتهم إلى أقطاب الكون ليكونوا نُورا للمعرفة، ونهضة للناطقين بلغة الضاد، وسفرا ناصعا من أسفار التاريخ. إنّهم جرمانُس فرحات، وعبد الله زاخر، ومكسيمُس حكيم، ومكرديج الكسيح، ونيقولاوس الصائغ وغيرهم من ذوي القلم السيّال والأدب الرفيع البليغ في معانيه.

وشاعرنا نيقولاوس الصائغ، واحد من تلك المجموعة الكريمة. إنّه شاعر حلب الذي ساهم في النهضة الفكريّة في القرن الثامن عشر، التي انطلقت من حلب، وامتدّت إلى جبال لبنان، ثمّ باقي البلاد العربيّة.

---

[1] الديوان، ص١٢ - ١٤.

حياته[٢]

وُلِد نيقولاوس ابن نعمة الصائغ سنة ١٦٩٢ في مدينة حلب. وقد عُرفت عائلته بالصائغ، نسبة إلى مهنة الصياغة التي كان يمتهنها والده. وتعود جذور أسرته إلى مدينة حماة، التي منها نزحوا إلى حلب. وفيها انقسمت العائلة إلى فرعين، الأوّل عُرف بـ (الصائغ). أمّا الثاني فعُرف بـ (زاخر)، نسبة إلى الشمّاس العالِم عبد الله زاخر، الذي هو ابن عمّ نيقولاوس الصائغ وصديقه المحبّ.

علومه

منذ نعومة أظفاره، أظهر نيقولاوس الصائغ، نباهة وذكاء في علومه. إذ أتقن بسرعة قواعد الصرف والنحو والعَروض والبيان.. التي تعلّمها جميعاً على يد الشيخ سليمان النحويّ. كما أخذ علوم الفلسفة والمنطق واللاهوت على يد العلاّمة الخوري ميخائيل بجع.

كان نيقولاوس الصائغ، مع رفاقه نعمة ابن الخوري توما وميخائيل حكيم، الذي عُرف في ما بعد باسم مكسيمُس، وكذلك الشمّاس عبد الله زاخر. كانوا جميعاً صرحاً للنهضة الأدبيَّة التي انطلقت من مدينة حلب، لتنتشر إلى جبال لبنان، ومصر... ففي عصرهم شهدت حلب - على نحو ما مهّدنا - حركة هامّة للتأليف والترجمة والنسخ. فتأسّست دُور للنسخ. وتوجّه الناس إلى المطالعة واقتناء الكتب. كذلك شهدت حلب، وبفضل هذه النهضة الأدبيّة الهامّة، ولادة أوّل مطبعة عربيّة في الشرق من صُنع عبد الله زاخر.

---

[٢] إدلبي، ناوفيطوس، تاريخ الراهبات الباسيليّات الحلبيّات...، ص٦٢ - ٦٣ / الباشا، قسطنطين، تاريخ طائفة الروم الملكيّة والرهبانيّة المخلّصيّة، ج٢، ص٣٣٠ - ٣٣١ / حاج، أثناسيوس، الرهبانيَّة الباسيليَّة الشويريَّة (الحلبيّة - البلديّة)... ج١، ص٥٨٥ - ٥٩١ / الشمّاس، يوسف، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكيَّة، ج٣، ص٧٤ - ٧٥ / شيخو، لويس، شعراء النصرانيَّة بعد الإسلام، ص٤٦٤ - ٤٧٤ / عطا، غريغوريوس، مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيّين الكاثوليكيّين، ص٤٩ - ٥٠ / مجلّة المشرق، المجلّد السادس (١٩٠٣) / مجلّة المسرة، السنوات ١٩٢١، ١٩٢٨، ١٩٥١ / مجلّة حياة وعمل، السنة السادسة / Kahalé Joseph, *Introduction à l'histoire de la congrégation des Péres Choueirites*, p. 53 - 56 / Nasrallah Joseph, *Histoire du mouvement littéraire dans l'Église melchite...*, vol. IV, t. 2, p. 109 - 111.

هَجْره العالَم

غادر نيقولاوس الصائغ ربوع حلب سنة ١٧١٦، بصحبة صديقه ميخائيل حدّاد، متوجّهين إلى أديار لبنان. وفي طريقهما مرّا بدير القدّيس جاورجيوس - الحميراء، غير البعيد عن مدينة حمص. وهناك التقيا الخوري ميخائيل حكيم، الذي كان قد توجّه إلى آديار لبنان سنة ١٧١٢، للانخراط في الحياة الرهبانيَّة.

بعد أيّام قليلة من وصولهما إلى دير القدّيس جاورجيوس، توجّها بصحبة الخوري ميخائيل إلى دير القدّيس يوحنّا الصابغ بالخنشارة، في جبال لبنان. فاستقبلهم رهبان الدير جميعهم بفرح. ثمّ ألبسوهما ثوب الابتداء. فبدأت مرحلة جديدة في حياة الشابّ نيقولاوس، الذي أظهر مثالاً في التقوى ودقّة في عيش النظام الرهبانيّ. كما كان يقضي أوقاته في الصلاة والتأمّل، مناجياً ربّه في قصائد شعريّة، عبّر فيها عن اختلاجات نفْسه وزهده في العالم. وقد قال في حقيقة الزهد والنسك:

صاحِ ليس النسكُ في لبس العَبا ... لا ولا التجريدُ في سكنى الرُبى
إنّما الزهدُ بطرحِ الكونِ والـ ... عُجبِ طرّاً فاستمعْ صِدقَ النبا
ثُمَّتَ التجريدُ في قطع الهوى ... لا بخَلْواتكَ مع طُول الخِبا
إنَّ مَن حاز فؤاداً قد صَفا ... يجتلي بالعقلِ ما قد حُجِبا [٣]

أمّا في المحبّة فقد قال:

الحُبُّ يبتلع الأتعابَ قاطبةً ... فمالِكُ الحُبِّ لن يستشعرَ التعبا
ومَن غدا فاقداً حُبَّ الإلهِ فلا ... يزالُ بين الورى طولَ المدى تَعِبا [٤]

وبعد أن أمضى سنتي الابتداء، وسنة ثالثة في التمرّس بالحياة الرهبانيّة في

---

[٣] الديوان، ص٣٨.

[٤] الديوان، ص٣٩.

الدير، رُقّي نيقولاوس الصائغ إلى درجة الشمّاس ثمّ الكهنوت. وذلك سنة ١٧١٩، على يد مطران بيروت سلفسترُس الدهّان.

إنجازاته في الرهبانيَّة

توفّي يوسف الصائغ، أخو نيقولاوس الصائغ سنة ١٧١٦. فأصبح نيقولاوس الوريث الوحيد لوالده. وعند هَجْره العالَم، وانخراطه في الحياة الرهبانيَّة، أخذ معه ماله وميراثه، وقدّمه للرهبانيَّة الناشئة آنذاك.

وأوّل ما قام به من عمل بماله، هو بناؤه لكنيسة القدّيس نيقولاوس، على اسم شفيعه. وقد أرّخ ذلك بأبيات شعريَّة نُقشت فوق بابها الغربيّ:

أي مار نيقولاوس المولى الذي ... حاز القَبولَ بحضرة الرحمانِ
أنتَ المظفَّرُ والأميرُ المقتفي ... روحَ الوجودِ خُلاصةَ الأكوانِ
أَقبلْ بطَرفكَ نحو ذا البيتِ الذي ... أهديكهُ مع مقلتي أجفاني
واثبتْ لما قد جاءَ تاريخي لهُ ... أَكرِمْ ببيتٍ أَفضلِ الأوطانِ[٥]

وكذلك بنى خمس غرف لسكن الرهبان القائمين في الدير، ما ساعد في ازدياد إقبال الشباب إليه والانخراط في الحياة الديريَّة. قادمين من مدينة حلب وغيرها تاركين وراءهم كلّ شيء، في سبيل الترهّب، والتكرّس لله.

سنة ١٧٢٠ انتُخب نيقولاوس الصائغ مدبّراً ومساعداً للرئيس العامّ نيقيفورُس كرمة. وذلك بعد أن مضت سنة واحدة على تلقّيه سرّ الكهنوت المقدّس. وفي سنة ١٧٢٣ تولّى رئاسة دير مار أشعيا. فوسّع الدير ببنائه غرفاً جديدة. كما أنّه عقد صداقة مع أمراء بني اللمع، حكّام المنطقة التي يقع فيها الدير. فكانوا له عوناً وسنداً في حِماية الدير ورهبانه. وله قصيدة طويلة يمدح فيها أمراء بيت أبي اللمع، وقد جاء فيها:

---

[٥] الديوان، ص٢٠٥. في هذا البيت عبارة "له أكرمْ ببيت أفضل الأوطان" تشير بحساب الجمّل إلى تاريخ بناء الكنيسة: ١٧١٩.

العـدلُ يـبني والأَمـانُ يُـشيِّدُ والجـورُ يُفـني والـهوانُ يُبـدِّدُ
والـصدقُ أَعظـمُ مـا يُـرام ويُبتغـى والحـقُّ أَلـزمُ مـا يُـرادُ ويُقـصَدُ
والحكـمُ سـيفٌ في يمـينِ وُلاتـهِ قـد يُنتـضى طـوراً وطـوراً يُغمَـدُ
إنَّ الحـصافةَ في العقـول مزيَّـةٌ لم يُؤْتَهـا إلاَّ الرشـيدُ الأرشـدُ
نـسل الأَماجد بيت ذي اللمع الـذي هــو بالمــآثرِ والفَخـارِ مُـشيَّدُ [٦]

سنة ١٧٢٧، انتخبه آباء الرهبانيّة رئيسا عامّــا عليها. وفي ١٧٣٠ استقــال من منصبه. لكنّ الرهبان أعادوا انتخابه مرّة جديدة للقيام بمهامّ الرئاسة العامّة، وذلك سنة ١٧٣٢. وبقي يشغل هذا المنصب إلى وفاته يوم ١٧ كانون الأوّل ١٧٥٦.

ومن إنجازاته أيضا شراؤه محلّة دير الطوق بزحلة، من الأمير فارس أبي اللمع، وبناؤه ديرا باسم النبيّ إلياس. وكذلك إنشاؤه دير مار ميخائيل بزوق مكايل. وقد أرّخ ذلك بأبيات جاء فيها:

كنيـسةٌ رُفِعَـتْ فيهـا منابرُهـا تهدي الوفـودَ إلى التقـوى مواعظُها
رأْسُ الملائِـكِ ميخائيـلُ حافظُهـا وربُّهـا فَهْـوَ لم يـبرح يحافظُهـا
دامـت بحفـظٍ أَمـينٍ قـد يؤكّـدهُ تاريخُهـا أَنَّ ميخائيـلَ حافظُهـا [٧]

وأقام دير البشارة للراهبات، بجوار دير مار ميخائيل. كذلك نال لرهبانيّته، في مدينة روما، كنيسة سيّدة السفينة (NAVICELLA)، وهي من الكنائس القديمة هناك.

أمّا إنجازه الأكبر والأهمّ الذي قام به، فهو شراؤه سنة ١٧٥٠ أرضاً في منطقة الشير، التابعة للشيخ شاهين تلحوق. وقد دفعت الرهبانيّة مبلغ ألف غرش إلى الشيخ شاهين. ثمّ بدأ عمل البناء على هذه الأرض. فبنيت كنيسة

---

(٦) الديوان، ص٨٤-٨٥.

(٧) الديوان، ص٣٠٦.

ودير كبير، على اسم القدِّيس جاورجيوس. وقد أرّخ ذلك بأبيات شعريَّة:

أَكـرِمْ بـشأنِ كنيسةٍ قـد شُـيِّدَتْ ... ليُـشادَ فيهـا الـسُبْحُ والتقـديسُ
قـد أشـرقتْ في الغـربِ مثـلَ مَنـارةٍ ... تتجـابُ منهـا ظُلمـةٌ وبُـؤُوسُ
للشاهد القـدِّيسِ مـار جـاورجيوس ... ذا البيـتُ فهـو بلحظـهِ محـروسُ
مـا زال حافظهـا الـذي بُنيَـتْ لـهُ ... وعلى اسمهِ مذْ أُحكِمَ التأْسيسُ
ولـذا نـسال بمـا تـأَرَّخَ كـنْ لبيـ ... ـتـك حافظـاً يـا أيّهـا القـدِّيسُ[8]

مؤلّفاته[9]

كان نيقولاوس الصائغ شاعراً كبيراً، ذا قريحة فيّاضة. أتى شعره عن فطرة ورغبة داخليَّة في وصف عقائد الدِين بطريقة شعريَّة. أمّا نثره، فكان بقلم سيّال، وديباجة جميلة. كيف لا، وهو ذو ثقافة فلسفيَّة ولاهوتيَّة عميقة! وقد ترك الصائغ العديد من المؤلّفات، مع ديوان شعر، طُبع مراراً في بيروت - لبنان:

١- كتاب في الحياة الرهبانيَّة.

٢- كتاب مواعظ على مدار آحاد السنة وأعيادها.

٣- كتاب في سناء طقوس الكنيسة الملكيَّة.

٤- فرائض الرهبانيَّة الشويريَّة. طبع في مدينة روما سنة ١٧٥٧.

٥- فرائض راهبات دير سيّدة البشارة. طبع في مدينة روما ١٧٦٣.

٦- سيرة المطران جرمانُس فرحات.

---

(٨) الديوان، ص٣٠٦.

(٩) سباط، بولس، الفهرس، ج٢، رقم ٥٧٢ / شيخو، لويس، كتاب المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة، ص١٣١ / بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربيّ، مجلّد ٨، ص٣٧ - ٣٨ / كحّالة، جوزيف إلياس، تاريخ كنيسة الروم الملكيّين بحلب، ص٢٣٣.

٧- تاريخ الرهبانيَّة الحنّاويّة منذ تأسيسها حتّى ١٧٣٩، وما زال مخطوطا.

٨- مجموعة رسائل.

٩- تقدمة عيد الجسد ووداعه.

١٠- رسالة كتبها في ٣ آب ١٧٥٢ إلى آحد أصدقائه بحلب في أنّه لا يكاد أن تكون لذّة إلاّ ويتبعها ألم.

١١- ديوان شعر: ديوان الأب الفاضل والعالم العامل الصالح الذكر الخوري نيقولاوس الصائغ، رتّبه على حروف الهجاء.

ديوانه الشعريّ

لسنا هنا بصدد دراسة ديوان الخوري نيقولاوس الصائغ الشعريّ. هذا الديوان الذي حمل في طيّاته ثقافته الواسعة. فجمع فيه إلى الفكر الفلسفيّ واللاهوتيّ، المديح والتأريخ. وقد جاءت قصائده متفاوتة في عدد أبياتها، منها ما لم يتعدّ الخمسة أبيات، وأخرى تناهز المئة والخمسين بيتا.

اعتمد الصائغ في نظم قصائده الأساليب والاتّجاهات الفنيّة التي كانت سائدة في زمانه. والتي لكلّ منها مفهومها وأنغامها ومعانيها. وقد جاءت قصائده لتثبت قوّة فكره، وقدرته على النظم الشعريّ، وتمكّنه من البديع والعروض، مع مسايرته روح عصره كما سبق وأشرنا.

أرّخ الخوري نيقولاوس الصائغ في ديوانه الشعريّ جملة من الأحداث التاريخيَّة، منها إنشاء الأديار والكنائس، ومنها الولادة والوفاة، وأخرى في ذكرى بعض المناصب. وقد جاء في شعره، بكثير من الرموز والألغاز، وعلى القارئ فكّها، لتظهر له في عالم من الوضوح، بعيداً عن الغموض. كذلك استعمل في شعره، لغة الجناس، إذ كان يستعمل الكلمات المتشابهة في حروفها، المختلفة في معانيها.

مدح الخوري نيقولاوس الصائغ في ديوانه الشعريّ، مريم العذراء، متغنّياً بطهرها وقداستها. معبّراً عن عظَمتها ونقاوتها، لتكون مسكن الله القدير. هي الجسر نحو الله، والمركب الأمين. وهي البحر الذي زجّت فيه أوساق ذنوبنا. يسير إليها كلّ ذي موجع قلب ينوح نوح النوادب. كيف لا وهي بحر المراحم والمكارم.

كتب الخوري نيقولاوس الصائغ أيضاً الموشّحات متغزّلاً ومعظّماً، مريم العذراء، أُمّ البرايا، منارة الجبل، والنجم السحريّ. هي التي حلّ في حشاها باري النسيم، ليعقد منها جسداً. هي التي حملت روح الوجود، الذي بطبيعتنا اتّحد، ليكون إنساناً، ونكون على صورته ومثاله.

إنّ قصائد الخوري نيقولاوس الصائغ، التي كتبها مادحاً العذراء مريم، ليست بقصائد شعر عاديَّة، أو مجرّد موشّحات كتبها. بل هي فكر لاهوتيّ عميق، عبّر فيه عن عظَمة مريم العذراء في الكنيسة الشرقيَّة بشكل عامّ، والكنيسة الحلبيَّة بشكل خاصّ. كيف لا، وقد عُرف عن الحلبيّ تعبّده العميق نحو والدة الله، مريم العذراء.

تكلّم الخوري نيقولاوس الصائغ على عقيدة الحبَل بلا دَنَس، قبل أكثر من مئة عام على إعلان الكنيسة الرومانيَّة لهذه العقيدة. إنّه يقول:

قد حاكَهُ من دِما خيرِ الأَنامِ ومَن	قد اصطفاها له أُمّاً بلا دَنَسِ
معصومةً من خطاءِ الجِدِّ ليسَ بها	من وصمةٍ فعليها قَطُّ لم يُقَسِ[10]

وإن دلّ هذا على شيء، فإنّه يدلّ على أنّ الكنيسة الشرقيَّة تؤمن بعقيدة الحبَل بلا دَنس، قبل إعلانها في الكنيسة الغربيَّة بزمن بعيد. وهذا الإيمان واضح في صلوات آباء الكنيسة الشرقيَّة وكتاباتهم، التي وصفوا فيها مريم العذراء أجمل وصف.

---

[10] الديوان، ص١٢١.

لم يسمّ الصائغُ مريم بأُمّ الإله وحسب، بل أيضا تاج الناس، وتاج الملائكة. والتاج يعلو على كلّ شيء في الوجود. كيف لا، وهي صفوة الكونين، وخلاصة الموجود. لقد وصفها بأجمل الكلمات، وأعطاها أسمى الألقاب. وكتب عنها أجمل الأشعار، ملخّصا فيها فكره اللاهوتيّ المريميّ، ليتقبّله أبناء عصره، والعصور اللاحقة:

مَلْكَـةُ الأرضِ والسماواتِ أُمُّ اللـ ـه يحلـو بمـدحِها إنـشادي [11]

استعمل في قصائده المريميّة، كثيرا من تعابير الكتاب المقدّس للعهد القديم. فوصف مريم العذراء بالهيكل والتابوت وقدس الأقداس، عرش الاله، كوكب الصبح المنير، قبّة الميثاق... إلخ:

يـا خـيرَ خلقِ اللهِ مـا لـي سـوى فـضلكِ يـا غايـةَ مـا أَسـأَلُ
أَنـتِ عـصا هـارونَ إذ فَرَّعَـتْ فمَـن رأى يابـسةً تخـضَلُ
وأَنـتِ قُـدسُ القُـدسِ ثـمّ الخبـا والعـرشُ والتـابوتُ والـهيكلُ [12]

عودة إلى الديوان فإنّه كمٌّ كبير من القصائد الشعريّة، كان الصائغ قد ألقاها في عدّة مناسبات. وقد جُمعت وطُبعت مرارا. كان أوّلها سنة ١٨٥٩، في المطبعة الكاثوليكيّة - بيروت. أمّا آخرها فقد كان سنة ١٨٩٠، في المطبعة الكاثوليكيّة أيضاً. وقد نظر في الديوان بعد ظهوره ونقّحه الشيخ إبراهيم نصيف اليازجي، الذي خطّ في آخر صفحة منه (ص٣٢٠):

"هذا آخر ما وقفنا عليه من ديوان الفاضل النبيه الخوري نيقولاوس الصائغ رحمه الله وقد استعنّا في ضبطه بنسخة قديمة قابلناه عليها فأصلحنا ما شاء الله ممّا رأيناه فيها أصحّ وأقرب إلى الثقة. ولا يخفى أنّ تداول أيدي النسّاخ على

---

[11] الديوان، ص٨٠.
[12] الديوان، ص١٩٨.

هذا الديوان قد عبث بكثير من محاسنه غير أنّ ذلك لا يغضّ من فضل الناظم في جنب قلائده الكثيرة التي ما برحت سالمة من آفة العبث وكفى بها دليلاً على طول باعه ومتانة علمه نفعنا الله به وتغمّده برحمته والحمد لله أوّلاً وآخِراً".

لقد كان الديوان الشعريّ هذا مادّة تُدرّس في المدارس والأديار، خلال القرن التاسع عشر، وحتّى في بدايات القرن العشرين. وقد عُرف بديوان الراهب، وكذلك بديوان الخوري.

وإنّنا نرى أنّه وبعد مضيّ أكثر من قرن من الزمن على صدوره الأخير فإنّ هذا الديوان جدير بأن يعود فينشر في حلّة قشيبة، مع دراسة وتمحيص، فيطّلع على نتاج الصائغ أبناء هذا الجيل.

وقبل أن نختم، لا بدّ من التنويه إلى قصائد شعريَّة، وأبيات متفرّقة من الشعر، تُنسب إلى الخوري نيقولاوس الصائغ. وهي موقّعة باسم "الشاعر الباسيليّ". منها حِكميَّة، ومنها زهديَّة، بالإضافة إلى موضوعات أُخرى. نذكر منها:

إمّا تذكّرتَ الحِمامَ وهولَهُ — عجباً لقلبكَ كيف لا يتهيَّأُ
وإذا تفكّرتَ الحساب وقِسطَهُ — عجباً لفكرك كيف لا يتأسَّأُ
وإذا تحقّقتَ الجحيمَ وحرّها — عجباً لنفسك كيف لا تتلظَّأُ
وإذا تأمّلتَ النعيمَ وحسنَهُ — عجباً لعقلك كيف لا يتملَّأُ

وقوله في قصيدة حِكميَّة:

الدهرُ ريحٌ قُلَّبُ — وبنوه برقٌ خُلَّبُ
ما فيهمُ إلاّ فتىً — متأوّلٌ متقلّبُ
برد سلام وجهه — وفؤادُه يتلهَّبُ

وقوله أيضاً في قصيدة حِكميَّة:

ذا الـــدهرُ ميـــدانُ المـــصائبْ — وبنـــوه فرســـانُ المعاطـــبْ
مـــا هـــذه الـــدُنيا الـــتي — هـــي للـــورى وادي المتاعـــبْ
فـــخُّ البلايـــا والرزايـــا — والأســـايا والمـــصاعبْ
تجـــري بـــساحتِهِ الكـــوا — رثُ والـــبلا جـــريَ الـــسلاهبْ
دهـــرٌ عجيـــبٌ لا تـــزا — لُ صـــروفُه تُبـــدي الأعاجـــبْ

وله قصيدة في بلاد الشرق، وهي تشاؤميَّة:

رأيـتُ بـلادَ الـشرقِ في كـلِّ حالـةٍ — بـلاءً وشـرّاً فـاضَ مكيالـه الـوافي
فـرخّمْ علـى غـير القيـاس وقُـلْ إذِنْ — بـلادٌ بـلا دالٍ وشـرقٌ بـلا قـافِ[١٣]

---

(١٣) راجع هذه الأبيات لدى أثناسيوس الحاج، في المرجع المذكور سابقاً، الجزء الأول، ص٥٩٠ – ٥٩١.

أشعـــــار

نيقولاوس الصائغ

في مدح مريم العذراء

في مولد السيّد المسيح من مريم البتول (سنة ١٧٢٢)

قد زارَنا الرحمنُ واتضحَ الهُدَى ... وانثالتِ الأوثانُ وافتضحَ العِدَى
وحَظِي الأنامُ بنِعمةٍ قُدسيَّةٍ ... أضحَى بها نَهْجُ الخلاصِ مُمهَّدا
هُوذا الإلهُ نراهُ مبتدئاً لنا ... من مولِدٍ وَهْوَ القديمُ بلا ابتِدا
وافَى بثوبِ الإنسِ متَّشِحاً وقد ... ملأَ العُفاةَ جَداً وفضلاً يُجتَدَى
مُتَدثِّراً ناسُوتَنا وَهُوَ الذي ... ما زالَ متَّشِحَ الضياءِ كما الردا
عِقدَ الحياةِ أَناطَ في جِيدِ الوَرَى ... وأَماطَ عنّا وِقْرَ أَغلالِ الرَدَى
مَن لم يَزَل في عرشِ عِزِّ عَلائهِ ... قد شاءَ في ذُلِّ الولادةِ مِذْوَدا
مَن لم يَزَل فوق الملائكِ راكباً ... أَضحَى على ذاك الحضيضِ مُوسَّدا
هُوذا العليُّ على البسيطةِ راقدٌ ... وَهُوَ الذي في عرشِهِ لن يَرقُدا
في بيتِ لحمٍ حيثُ دارَ سوامُها ... ثمَّ الإلهُ الابنُ مارسَ مَولِدا
عَجَبٌ عظيمٌ يَشدَهُ الألبابَ إذ ... ظهرَ الإلهُ برِفدِهِ مُتَجسِّدا
مُتَنازِلاً مُتعالِياً مُتَذلّلاً ... مُتَشرِّفاً مُتخضِّعاً مُتَمجِّدا
مُتَواضِعاً مُتَألِّماً مُستَحقَراً ... مُتَعاظِماً مُتنعِّماً مُتَأَيِّدا
بُشراكِ يا حَوّاءُ أَصلَ بَلائِنا ... كُفِّي النُواحَ فقد تَملَّكتِ الفِدَى
أَليومَ أَصواتُ الملائكِ شُرَّعٌ ... يَنحُون بالتمجيدِ ربّاً أَمجدا
يومٌ قَدِ اصطَحَبَت بهِ نُوبُ العَلا ... يَحبُونَ تهليلاً يسوعَ السيِّدا
أَليومَ حانَ منَ الضَلالِ نَجازُهُ ... حقّاً وآنَ لنارهِ أن تَخمَدا
أَليومَ قد نُظِمَت عُقودُ فِدائِنا ... وقدِ اغتَدَى عِقدُ الضَلالِ مُبدَّدا
أَليومَ بُشِّرَتِ الرُعاةُ وقد أَتَوا ... لِيُحقّقوا العَجَبَ الفريدَ الأَوحَدا
ربٌّ أَتَى مُتَجسِّداً من بِكرِهِ ... وخِتامُها باقٍ كما منها بدا
إنَّ المُلوكَ الفارسيَّةَ أَشخَصوا ... عن أَرضِهِمْ لمّا لَهُم نَجْمٌ بدا
مَلْكُونُ كِسبارُ السَريُّ وبَخْتَصا ... لُ طَوَوْا بعَسفِهِمِ السريعِ الفَدْفَدا
نَجْمٌ تَقدَّمَهم يسيرُ تُجاهَهم ... من مَشرِقٍ حتّى استَبانُوا المِذوَدا

فَتَحوا كُنوزَهُمْ وقد أَهدَوْا لَهُ ... مُرّاً وذاكيةَ اللُبانِ وعَسْجَدا
في بيتِ لحمٍ شاهَدُوا ربّاً أرى ... طِفلاً وضيعاً بالقِماطِ مُشدَّدا
داودُ تاقَ إلى وُرودِ مِياهِها ... وشَكا اللُغوبَ وهل لذاك تقصَّدا
فأَراقَهُ لمّا أَتوهُ بهِ وما ... إنْ راقَهُ إذ لم يُرِدْهُ تعَمُّدا
ليُبينَ توقاً لم يَكُن لوُرودِها ... بل لِلّذي سيَكُونُ أفضَلَها يدا
رمزاً إلى ماءِ الحياةِ ومَنبَعِ ال ... حَسَناتِ رِيِّ الذائبِينَ من الصدَى
بحرِ المراحمِ والمكارمِ والغِنَى ... كَنزِ المغانمِ والعظائِمِ والجَدا
أَعني بهِ الفادي مَعِينَ خَلاصِنا ... عينَ المَفاخِرِ والمآثِر والنَدَى
هِيرُودُسُ الختّارُ ساءَ بقتلهِ ... أطفالَ أَفْراثا وأَسرَفَ واعتَدَى
لمّا رأى المُغتالُ سُخرِيَةَ المَجو ... سِ بهِ تَضرَّمَ قلبُهُ وتَوَقَّدا
قَتَلَ الصِغارَ مِنِ ابنِ ذي عامَينِ أَو ... ما دُونَ ذلكَ عاتياً مُتَمرِّدا
قد أولَغَ الظَلاّمَ في حُكمٍ فأو ... لَغَ في حَشَى الأَطفالِ بالظلمِ المُدَى
خَشِيَ استِلابَ المُلكِ منهُ لأنَّهُ ... يبغي الجَهُولُ بأَن يعيشَ مُخلَّدا
وأرادَ أن يُردي بأمرِ رادهُ ... مَن قد تنزَّهَ بالبَقاءِ عن الرَدَى
لم يَدرِ إذ فَقَدَ الصَوابَ بأنّهُ ... رَبُّ الممالكِ فَهْوَ يَملِكُ سَرمَدا
وبهِ سيَفنَى كلُّ مُلكٍ زائلٍ ... ويدومُ في المُلْكِ العزيزِ مُؤيَّدا
فإليهِ ثابَ الفهمُ لكن بعدَ ما ... رشقَ السِهامَ ومدَّ للبُؤْسَى يَدا
راحيلُ طالَ نحيبُها وزفيرُها ... ثكلاءُ قد أبَت العزاءَ على المَدَى
تَغْضِي الجُفونَ من السُهادِ على القَذَى ... مِن مَدمَعٍ في خدِّها قد خَدَّدا
جَفنٌ نبا فأبَى يُلِمُّ غِرارُهُ ... مُتَرقِّباً زُهرَ الدُجَى مُتَسهِّدا
مَلأَت نَواحيَ رامةٍ نَوْحاً على ... أطفالِها وأَسىً يُذيبُ الأَكبُدا
أَمرَ الإلهُ الآبُ يُوسُفَ في الكَرَى ... خُذ مريماً والطِفلَ واهرُبْ مُبعِدا
والبَثْ مُقيماً في حِمَى مِصرٍ إلى ... زَمَنٍ يعودُ العَودُ فيهِ أَحمدا
لمّا ثَوَوْا في أرضِ مِصرٍ غادَروا ... أَصنامَها دكّاً ومَرآها سُدَى
فغَدَت رُبَى الطِغيانِ رسماً دارساً ... فيها ورُكنُ الدينِ عادَ مُشيَّدا

وغـدا الـيقينُ مـسوّماً والحـقُّ سـا ... ر مُقوّمـاً والـكُفـرُ ظـلّ مبـدّدا
أَمـسَى طريـقُ الخـوفِ مـسدوداً ونَهـجُ الأَمـنِ مـن كـلِّ الجِهـاتِ مُـسدّدا
وغـدا سـبيلُ اللهِ مفتوحـاً لِمَـن ... يَبغِـي الـسُّلوك بـهِ وكـانَ مُوصّـدا
هـذا هُـوَ الحـقُّ الـصُّراحُ وإنّـني ... مـا زلـتُ فيـهِ مُبَرهِنـاً ومُقلِّـدا
جَمَـدَت بحـارُ الغـيِّ مـن آياتـهِ ال ... فُـضلَى وكـادَتْ قبـلُ أن لا تَجمُـدا
لم يَتَّـقِ ابـنُ اللهِ إمـرةَ غـادرٍ ... فيمـا تهـدّد ظالمـاً وتَوَعّـدا
إلاّ لنُوغِـلَ بالتنـاءِي حينمـا ... تَقَـعُ الحـوادثُ والـبَلاءُ ونَحفِـدا
عَتَـقَ الأَنـامُ مـن الخَطـاءِ بـآدمٍ ... لَكـن بمـيلادِ المـسيحِ تجـدّدا
ولقد حُبي حُسنَ الـتَخلُّصِ من ضَلا ... لتـهِ وعـادَ بمـريمٍ مـسترشِدا
بكـرٌ سَمَت شأْو المعالي مُذ علت ... أَقـدامُها مَـتنَ الـسُهَى والفرقَـدا
وَلَـدَت وقـد لَبِثـت بتـولاً مثلَمـا ... كانـت ومـا زالـت على طُولِ المَدَى
كـم قـد هَـدَت ضُـلاً إلى دِيـنِ ابنهـا ... آياتُهـا فمُخَـضرماً ومُولَّـدا
وَلَجُـوا بـدِينِ اللهِ أَفواجـاً فـإن ... مُتمجِّـساً قـد كـانَ أَو مُتَهـوِّدا
أنـذرت ذاتـي وقـف حـبّ كمالـها ... وجمالـها أَمـسي ويـومي بـل غـدا
مـا نَـسْمةٌ سَـحَرِيَّةٌ قـد أوّدت ... بهُبوبهـا قـدَّ الأَراكِ الأَملَـدا
والغُـصنُ لَمّـا صَـفّقَت راحاتُـهُ ... غنّـى لـهُ الطَـيرُ الأَغَـنُّ وغـرَّدا
والـروضُ يزهـو نَـورُهُ بكِمامِـهِ ... حتّـى غـدا للبَـسْطِ أَشـرَفَ مُنتـدَى
والزُهـرُ تُجلَـى والأَزاهِـرُ تنجلـي ... والعُـودُ إن أَهـدَى الـشَذا أَو إن شَـدا
بأَجَـلَّ مـن إنعـامِ مـريمَ مَـن بهـا ... بالفـضل حقّـاً قـد يُـؤَمُّ ويُقتـدَى
نَفِـدَ المِـدادُ وكـلَّ عـن أَوصـافِها ... لُـسُنُ الـوَرَى ونُعوتُهـا لـن تَنفَـدا
يـا تَـيمَنَ اللهِ الـتي منهـا أَتَـى ... قَمَـرُ المَشارقِ مَن بـهِ الـضالُ اهتدَى
يـا بنـتَ داودَ الـتي لاحـت لـهُ ... جـبلاً تَفـرَّدَ بـالعُلَى وتوحّـدا
يـا جَـرَّةً قـد ضُـمِّنَت مَـنَّ الحيـا ... ة وجِـرَّةً قَبِلَـت مِـنَ الـرُوحِ النَـدَى
مـا شـاهَدَ الآيـاتِ منـكِ مُوفَّـقٌ ... إلاّ ودانَ لـصِدقِها وتَـشهَّدا
كَـلاّ ولم يُبـصِر مَراحِمَـكِ امـرُؤٌ ... إلاّ وعـادَ مُكبِّـراً ومُوحِّـدا

رُدّي طريداً خائفاً مستأْنساً ... أَجَمَ المعاصي عن حِماكِ مُشرَّدا
وأَضِي بنُورِكِ ظُلمتي وظُلامتي ... كَرَماً فزَنْدُ الرُشدِ منِّي أَصلَدا
ولقد غَدَوتُ بلا اكتفاءٍ فارمُقِي ... رَمَقي فإنِّي قد رَجَوتُكِ ما عَدا
يا خَيرَ عالِمةٍ بما أَحتاجُهُ ... دُونَ الهُتافِ فلا احتياجَ إلى النِدا
إن كُنتِ عَوني يا بتولةُ في الوَرَى ... لم أَخشَ من كَيدِ العَدُوِّ ولو عَدا
يا مَن غَزَت كيدَ العَدُوِّ بسطوةٍ ... ما مارسَت فيها قَناً ومُهنَّدا
تَاللهِ إنِّي لا أُصِيخُ لعاذلٍ ... فيها وحاشا أَن أُطِيعَ مُفنِّدا
يا حاسدُ اقصِر فالمَحَبَّةُ شِيمتي ... ومَحَبَّتي لا تستطيعُ الحُسَّدا
أَنا لا أُداري الحاسدينَ فكُلَّما ... داريتُ أَخلاقَ اللئيم تَمرَّدا
أَنِعش فُؤادي يا سميرُ بمدحِها ... وذَرَنَّ إسحقَ النديمَ ومَعبَدا
وانثُر على سَمْعي نِظامَ قريضِها ... ودَعِ الفَرَزْدَقَ يستهيمُ واحمدا
ما جادَ فِكري في مدائحِ جُودِها ... إلاّ وكانَ بهِ المديحُ مُجوَّدا
يَترَنَّمُ الحادي بهِ فتَمُدُّ بال ... آذانِ والسيرِ المَطِيُّ إذا حَدا
طُوباكِ يا غَوثَ الوَرَى طُولَ المَدَى ... ما دامَ فضلُكِ للخلائقِ مُرفِدا
طُوباكِ ما أَحيَى الظَلامَ مُجاهِدٌ ... بِعبادةِ ابنِكِ جاثماً مُتهجِّدا
وعليكِ من ربّي التحيَّةُ والرِضَى ... ما حَنَّ إلفٌ لِلّقاءِ تَوَدُّدا
وزهَت بسُندُسِها الرياضُ وقد سقى ... عَذَباتها صَوبُ العِهادِ تَعهُّدا
وسَرَى النسيمُ مُصافِحاً زَهرَ الرُبَى ... سَحَراً وغنَّى العندليبُ وغَرَّدا
وغدا نِظامُ المدحِ فيكِ لآلئاً ... كَرُمَت فباهت جوهراً وزَبَرْجَدا
حُمِدَت مبادئُهُ فكانَ خِتامُهُ ... مِسكاً يَزِينُ المُنتَهَى والمُبتَدا

مُوشَّح في مدح مريم البتول

إنَّـنـي أَشـكُو فَـواجي الأَلَـمِ ... لم يَعُـدْ لـي مـن جلَـدْ
زَجَّ بـي جهلـي بقـاعِ النَـدَمِ ... والنُهَـى منِّـي شَـرَدْ
رَشَـقَتْني شَـهْوتي بالأَسـهُمِ ... أورثـت قلـبي لَـددْ
غـيرَ أنِّـي أَرتجـي في مـريمِ ... صـفوةِ اللهِ الأَحَـدْ
خَـصَّها اللهُ بأَسـنَى الـنِعَمِ ... عِنـدَ مـا منهـا وَرَدْ

دورٌ

مُرضِـعٌ عـذراءُ جلَّـت عـن زَلَـل ... إنَّ ذا سِـرٌّ سَـرِي
قَرَنَـت بـينَ البكـارة والحَبَـل ... دونَ كـلِّ البَـشَرِ
مثَّـلوها بالمَنـارة والجَبَـل ... وبـنَجْمٍ سَـحَري
في حَـشاها حَـلَّ بـاري النَسَمِ ... عاقـداً منهـا جَـسَدْ
آخِـذاً إِيَّـاهُ مـن أَزكـى دَمِ ... بطبيعتنـا اتَّحَـدْ

دورٌ

عـاتقٌ حاملـةٌ رُوحَ الوُجـود ... صُـنعَ رُوحٍ قُدُسـي
فَهْـيَ أُمُّ اللهِ والـربِّ الـوَدُود ... تحـتَ ثـوبِ أُنُـسي
أَنـصلَت حـوّاءَ مـن تلـكَ القُيـود ... وجِـوارِ اليَمْـبُسِ
قـد علـت قـدراً جميـعَ الأُمَـمِ ... مـا لعُلياهـا أَمَـدْ
أَنقَـذَت مـن دامغـاتِ الـنِقَمِ ... آثمـاً مَيْـتَ الحَـسَدْ

دورٌ

فَبهـا عـادَ إلى ذاكَ الجنـان ... مهلـك الجـنس الـدني
واكتَـسَى خِلعـةَ ثـوبِ الأُرجُـوان ... حـائِزَ القَـدرِ الـسَني

شَـرَعَت تَهتِـفُ بُوقـاتُ الأَمـان مــن إلـــهٍ مُحــسِنِ
فانجلَــت عنَّــا بُـسُور الغُمَـمِ وانتَفَـــى عنَّـــا الكَمَـــدْ
واغتَــدَينا في سُــرورٍ مُعلَــمِ طـــالَ مـــا طـــالَ الأَبَـــدْ

دورٌ

مريمـــاً لَبِّـــي أَثيمـــاً هاتفـــاً نائحـــاً مـــضنىً شَـــجِي
عبـدُكِ المِـسكِينُ أَضـحَى ذارفـاً مَدمَعـــاً كاللُـــجَجِ
لا تَخـــالي فيـــهِ ذنبـــاً ســـالفاً بـــكِ منـــهُ يَرْتجـــي
إِحطِمـــي الأَعـــداءَ عنـــهُ يَـسلَمِ وادرِكِيـــــهِ بالمَـــــدَدْ
وانقِذِيـــهِ مـــن لَظـــىً مُحتـــدِمِ فـــسِواكِ مـــا قَـــصَدْ

دورٌ

يـــا سَـــماءً لم تُطاوِلْهـــا سَـــما إِنَّـــكِ العـــرشُ الـــسَمِي
حُـزتِ قـدراً في الأَعـالي أَعظَمـا فـــاقَ شـــأْوَ العِظَـــم
فـامنَحيني مَحْـوَ ذنـبي كَرَمـا يـــا مَعـــينَ الكَـــرَمِ
وارتَـضِيني بعـضَ أَدنَـى الخَـدَمِ واســـعِفيني بالرَشَـــدْ
إِنَّ في بـــدءٍ وفي مُختَـــتَمِ أَنـــتِ لـــي خـــيرُ الـــسَدَدْ

وأيضا في مدح مريم البتول (سنة ١٧٤١)

لا تَسلْني يا عائدي عن فُؤادي ... ففُؤادي ما بين بحرٍ وواد

ظلّ في تلكُمُ الربوعِ مُقيماً ... يرتعي بينَ تلكمُ الأنجادِ

يا نسيمَ الرياضِ باللهِ إن جُزتَ بتلكَ الجبالِ والأطوادِ

بَلّغَنّ السلامَ منّي وعنّي ... ذلكَ المَنسِكَ الرفيعَ العِمادِ

واهدِ شوقي برقّةٍ واحتِشامٍ ... واحِترامٍ لإخوتي العُبّادِ

أخبرِنْهم ببعضِ ما بي أنّي ... ثابتُ العهدِ مستقيمُ الوِدادِ

أنتَ مِثلي أراكَ صبّاً عليلاً ... وكِلانا مشرّدٌ في البوادي

فأعِنّي بحَمْلِ شوقي إليهم ... وارو عنّي الغرامَ بالإسنادِ

إنّني من أذى البعادِ نحيلٌ ... يا أخا الوَجدِ لا بَعُدتَ بعادي

نادِبي نادِ بي وصَحْبي فصِحْ بي ... فلَكَم أستهيمُ في كُلِّ وادِ

جادكِ القَطرُ يا مَعاهد عهدي ... وسقاكِ الحَيا وصَوبُ العِهادِ

وتلقّاكِ شمألٌ وقَبُولٌ ... وصباً من روائحٍ وغَوادِ

أيُّها الدمعُ إن تكُن مُنجِداً لي ... فاهْمِ من مُقلتي بغير تمادِ

إنّ عقلي من المآتمِ ميْتٌ ... ولِذا قد لَبستُ ثوبَ السَوادِ

سَنّ لي مأثمي لها مأثماتٍ ... حدّ وزري عليّ لِبسُ الحِدادِ

قد تكلّفتُ خُطّةً من خَطاءٍ ... هائلٍ قد يروعُ قلبَ الجَمادِ

غيرَ أنّي أرجو بأمّ إلهٍ ... هي خيرُ الشفيعِ يومَ المَعادِ

نجدةُ العالمينَ مريمُ مَن قد ... خارَها اللهُ رحمةً للعِبادِ

فَبِها المُصطفَونَ نالوا اصطِفاءً ... وتَردَّوْا بسُندُسِ الأمجادِ

سَعِدوا بالسُعودِ في مَلَكُوتِ اللهِ فازوا بأسعَدِ الإسعادِ

ما حَظُوا بالثَباتِ في البِرِّ لولا ... أدرَكَتْهم بنِعمةِ الإسنادِ

مَلْكةُ الأرضِ والسماواتِ أُمُّ اللهِ يحلو بمدحِها إنشادي

هاتِ ما شِئتَ بالمديحِ ولا تخشَ غلوّاً فيهِ وفرطَ ازديادِ

إن تَكُـنْ قـد أَصـارَها الآبُ أُمّــاً لابنِــهِ مُرضِــعاً بغــيرِ فَــسادِ
وَلَدَتْــهُ وأَرضَــعَتهُ إلــهاً وَهْــيَ بِكــرٌ قــبلاً وبعــدَ الــوِلادِ
مُلِئَــت نِعمــةً فــسادت وشــادت كــلَّ فـضلٍ يعلـو علـى مـدحِ شـادِ
فبــأيِّ المــديحِ تَنعَــتُ بكــراً أَلّفَــت بــينَ أبعــدِ الأَضــدادِ
فمُحــالٌ مــديحُ أُمِّ إلــهٍ شمّتتهــا الأَمــلاكُ في المِــيلادِ
قَــدَّسَ اللهُ ذِكرَهــا كلّمــا فــا حَ شَــذاهُ اللذيــذُ في كــلِّ نــادِ

في ميلاد السيّد المسيح من مريم العذراء في بيت لحم (سنة ١٧٤٧)

ذَرْ عنك سَلْعاً وسَل عن حِلّة القُدُسِ ... ورِد بها مَن تَردَّى حُلّة القُدُسِ
وخَلِّ سُلمى وسَلْ ما تبتغيهِ بها ... من الأَماني ورَدِّد أَطيَب النَفَسِ
وزُر مغانيَ ذرّت شمسُ بَهجتِها ... بمَن أَتى بأَديمٍ من دمِ الأُنُسِ
قد حاكَهُ من دِما خيرِ الأَنامِ ومَن ... قد اصطفاها لهُ أُمّاً بلا دَنَسِ
معصومَةً من خطاءِ الجِدِّ ليسَ بها ... من وَصْمةٍ فعليها قَطُّ لم يُقَسِ
عَلَت على كُلِّ خَلقِ اللهِ مَنزلةً ... أَسمَى عُلىً بقِياسٍ غيرِ منعكسِ
وحلَّ فيها كما قد شاءَ مرتضياً ... بها حُلولَ النَدى الهامي على اليَبَسِ
بِكرٌ وأُمٌّ معاً تسمو غرابتُها ... طَورَ العقولِ وفَهْمَ الحاذقِ النَدُسِ
من خيرِ بِكرٍ أَتى والبِكرُ والدةٌ ... بمُعجِزٍ صُنعِ باهي رُوحهِ القُدُسِ
في بيتَ لحمِ يَهُوذا كانَ مَولِدُهُ ... ليلاً به قد تجلّت ظُلمةُ الغَلَسِ
يومَ الملائكُ أَهدَوْا للرُعاةِ بهِ ... بِشائرَ البشرِ أَنضت سادلَ الدَلَسِ
وافت إليهِ مَجُوسٌ جلَّ قدرُهُم ... من كلِّ ذي حكمةٍ سامي الحجى نَطِسِ
أَزجوا الرواسمَ في اثنَيْ عَشرَ مُرتَحلاً ... برُشدِ نجمٍ بدا في الأُفقِ منبجسِ
وأَوجفوا بالسُرَى أَنضوا الرِكابَ ولم ... يألوا لأَفضلِ مأمولٍ ومُلتَمَسِ
حتّى أَتوا حيثُ كانَ الطِفلُ مضَّجِعاً ... بينَ البهائمِ تُدفيهِ من القَرَسِ
على البسيطةِ موضوعٌ وموضعهُ الـ ... خاصيُّ ذِروةُ نُورِ العرشِ والكُرُسي
يا بيتَ لحمَ يَهُوذا في ممالِكها ... صغيرةٌ أَنتِ فيما كُنتِ بالأَمسِ
لكن غَدَوتِ سماءً فالملائكُ قد ... قامت برحبكِ أَفواجاً على الحَرَسِ
فما لمجدكِ طولَ الدهرِ ممتهنٌ ... ولا يُدانيه يوماً كَفُّ ملتمسِ
فيا لَكفرٍ لهُ الأَمصارُ حاسدةٌ ... لا سيَّما الجارةِ الخَرقاءِ نابُلُسِ
بَنَى بها سنبلاطُ البيتَ فاختلست ... مجداً زميناً وهل مجدٌ لمختلسِ
تعظّمت بُرهةً لكنّها اندرست ... وأَصبحَ الكُفرُ فيها شرَّ مندرسِ
وذلك البيتُ أَمسَى قفرَ باديةٍ ... مأْوَى الوحوشِ ومَثوَى كلِّ مفترسِ

ومجدُ صهيونَ يزهو دائماً أَبَداً
قد آنسَ الإنسُ منها بهجةَ الأُنُسِ

إِيوانُ كِسرَى غدا أعلاهُ أَسفلَهُ
وقصرُ قيصرَ مثلَ الأَربُعِ الدُرُسِ

ونارُ آل أَنوشِروانَ قد طَفِئَت
وزالَ تسعيرُها من مُوبَذِ الفُرُسِ

وزُحزِحَت ظُلمةُ الأَوثانِ وانحسَرَت
ملابسُ الْتَبَسَتْ من كلِّ ملتبسِ

وزالَ منها أَفيكُ النُطقِ وانبكَمَت
أَفواهُها ومُنِي الشَيطانُ بالخَرَسِ

وقُوِّضَت دِكَك الأَصنامِ وانهدَمَت
وكلُّ مرتفعٍ أَقوَى إلى الأُسُسِ

سارت إلى سائرِ الأَقطار دَعوتُهُ
شرقاً وغرباً فمن هِندٍ لأَندَلُسِ

ضاءَت بها فانجلَت باللهِ ظُلمتُها
وأَسفَرَت كسُفُور الليل بالقَبَسِ

كأَنَّها الشمسُ في الإصباحِ إِذْ بَزَغَت
جلَت من الكونِ داجي خُلقهِ الشكِسِ

ذاوي الضَلالِة أَمسَى شرَّ مُقتَلَعٍ
وناضرُ الهَدْي أَضحَى خيرَ منغَرِسِ

بشَرعِهِ انتسَخَت كلُّ الشرائع وال
أَديانِ والشمسُ تمحو داجيَ الغَلَسِ

فاكْرِم بدين إلهٍ فوقَ كلِّ نُهىً
أَضحَى أُولو الكُفرِ من معناهُ في هَوَسِ

إلاَّ الأُلَى صدَّقوا تحقيقَ بَعْثَتِه
لقد نَجَوا من عِثارِ الشكِّ والحدسِ

وافَى ليُنهِضَ جَدَّ الناس آدمَ مَن
أَخطَى بنقلِ الخُطَى في جَدِّهِ التَعِسِ

ويطلقَ المذنبَ المحبوسَ في نَفَقٍ
بفَيضِ إطلاق عفوٍ غيرِ محتبسِ

حَلا لَهُ عَسَلٌ من لَذَّةٍ فمُنِي
بلسع أَيْمِ المَنَا من ذلك اللَعَسِ

حانت منيَّتُهُ حيناً بمُنيتهِ
لمَّا مَنَتْهُ مُناهُ بالمَنَا البَئِسِ

وكان فوقَ الثُريَّا رايةً وسَنىً
فصار تحتَ الثَرَى من رايهِ البَخِسِ

قد اجتَبانا وما منَّا سِوَى دَنِسٍ
مستغرقٍ في حَمَا الآثام منغمسِ

أَماطَ عنَّا حُبَى الأَوزارِ حينَ حَبا
رَجاءَ خيرِ الحِبا للقانطِ اليَؤُسِ

أَهدَى لنا النعمةَ الفُضلَى تجسُّدُهُ
وعمَّ إِذ خَصَّ بالإحسانِ كلَّ مُسِي

هو المواسِيُ والمؤْسِي خلائقَهُ
وإِن أَساءُوا إليهِ فهو ليسَ يُسِي

فالخالقُ الخلقَ قد كانَ الخليقُ بهِ
تهذيبَ أَخلاقِ خَلقٍ جامحٍ شَرِسِ

آنستَ نارَ الهُدَى يا صاحِ فاعشُ إلى
مَنارِهِ وسَناهُ لاحَ فاقتبِسِ

في مدح القدّيس يوسف البتول خطيب البتول مريم العذراء

(وقد اقترحها عليه بعض إخوته وهو في دير مار يوحنا الشوير، سنة ١٧٣٥)

سَرَت نَسَماتُ القُدسِ من أَطيبِ الإِضِّ ... فضَوَّعَتِ الآفاقَ بالطُّولِ والعَرضِ
ولاحَ سَنَى وَمضِ الطَّهارةِ مُشرِقاً ... فضاءَ جميعُ الكونِ من ذلكَ الومضِ
ونَمَّ شَذا عَرْفِ البَتُوليَّةِ التي ... نَشِقنا بها يوماً شَذا الزنبقِ الغَضِّ
فيا نَفَحاتٍ أَهدتِ القلبَ بَهجةً ... رَوَت عن عَفافِ البَرِّ والماجد المحض
خطيبِ البتولِ البكرِ يُوسُفَ مَن لهُ ... من الطُّهر ثوبٌ بالنَقا غيرُ مرفضِّ
فهذي العروسة والعروسُ كِلاهُما ... لهُ ختمُ طُهرٍ قد تنزَّه عن فضِّ
أَقاما مَعاً دهرَ الحياةِ بعفَّةٍ ... فسيَّانِ جاءَ البعضُ أَشبه بالبعضِ
فليسَ لها كُفْؤٌ سِواهُ ولا لهُ ... سِواها مثيلٌ بالعَفافِ كما يُرضي
فهذا اجتباهُ اللهُ زوجاً مقدَّساً ... لمريمَ مُنذُ البَدءِ عن أَمرِهِ المُمضي
فيا أَوحدَ الأَطهارِ في الخَلق والذي ... تناهَى بفضل الخَلق والخُلُق المُرضِي
ويا أَمجدَ الأَبكارِ في سِدرةِ العُلَى ... تذيلُ بثوبٍ بالبَكارة مبيضِّ
لقد قامَ من فِرعَونَ يُوسُفُ حاكماً ... بمصرَ طليقَ الكفِّ بالبسطِ والقبضِ
وحكَّمَهُ في أَمرِهِ وقضائه ... فليس لأَمرٍ كانَ يبنيه من نقضِ
وأَنتَ وكيلُ اللهِ قمتَ لبيته ... أَميناً طليقَ الحُكمِ فيهِ بما تقضي
وصِرتَ لربِّ الناسِ ربّاً مربّياً ... فتَقضِي على ربِّ القَضاءِ وتستقضي
تحَكَّمتَ عن أَمرِ الإلهِ بآلهِ ... فجازَ على كلّ الوَرَى حُكمُكَ المُمضي
غدوتَ نظيرَ الآبِ إذ صِرتَ لابنهِ ... أَباً ولكَ الأَمرُ المُطاعُ بلا دحضِ
فأَنتَ الأَبُ الشرعيُّ مَن لابنِ مريمٍ ... كذا زوجُها الشرعيُّ يا طاهرَ العِرضِ
تسلَّمتَها بكراً وجوهرُ طُهرِها ... بعفّتِها الفُضلَى مَصُونٌ عن الفضِّ
وأَكَّدتَ في نَذْرِ الطَّهارةِ عندَها ... بأَنَّ إليها في حياتكَ لن تُفضِي
ولكنَّهُ إذ بانَ يوماً لناظرٍ ... بها الحَبَلُ القُدسيُّ أُلتَ إلى النقضِ
ومِلتَ إِلى تركِ البتولةِ عَنْوةً ... فأَوحى إِليكَ اللهُ في سِنَةِ الغُمضِ

أَلاَ لا تَخَف من أَخذِك البِكرَ مريماً   لك امرأَةً واحذَرْ من الشَّكِّ والنغضِ
فمولودها من روح قُدْسٍ وإِنَّها   ستولدهُ من غيرِ طَلْقٍ ولا مَضٍّ
فجاءَت بهِ طِفلاً رضيعاً وإِنَّهُ   إِلهٌ لهُ الكونانِ في كفِّهِ القبضِ
عَنَا لَكَ وَهْوَ اللهُ مُنذُ كفلتَهُ   كأَنَّ الذي تعنيهِ فرضٌ بلا رفضِ
فطُوبَى لأَعضادٍ رفعتَ عليهما   لِمَن رفعُهُ في المُلكِ جلَّ عن الخفضِ
وطُوبَى لأَبصارٍ لحظتَ بها الذي   إِذا ما بدا الأَملاكُ عن رَهَبٍ تُغضِي
وطُوبَى لأَيدٍ مَسْتَ يوماً بها الذي   يداهُ بَرَت كونَ السماواتِ والأَرضِ
ورَعياً لآذانٍ رَعَت منكَ مِسمعاً   لِمَن صوتُهُ أَشهَى من العَلَل البَرْضِ
ففي العالَمِ الأَعلَى عُلُوُّكَ باذخٌ   وقَدرُكَ يعلو الكلَّ في العالَمِ الأَرضي
تساميتَ بالآيِ العِظامِ وبالأَلَى   فتَمنَحُ مَن يرجو بذاكَ بلا حضِّ
فيا مَوردَ الوُرَّادِ يا مَن لهُ نَدىً   بهِ يعتفي العافي عن الحضِّ والعَرْضِ
تَرفَّق بخاطٍ قد أَتاكَ ودمعُهُ   يَسُحُّ كماءِ المُزنِ نَضّاً على نَضِّ
فإِن كُنتَ يا مولايَ تَرحَضُ إِثمَهُ   بعفوِكَ أَغناهُ سَماحُكَ عن رحضِ
أَسِفتُ على دهري الذي مرَّ بُؤْسَما   فمن أَسَفي أَفري الأَناملَ بالعَضِّ
لقد فَسُدت صَهباءُ بِرّي ولم يَعُدْ   صَلاحٌ لها كالخمرِ حالَ على الحَمْضِ
وَهَى جَلَدي حتّى غدوت من الخَطا   حليفَ ضنىً لا أَستطيعُ على النهضِ
فلي كَبِدٌ من سهمِ وِزري جريحةٌ   تُقابِلُها الآثامُ بالصَدعِ والرضِّ
براني الأَسَى ممّا جنيتُ من الأَسَى   لأَن قيلَ ما هذا العريُّ من النَحْضِ
عليكَ سلامُ اللهِ ما هامَ مادحٌ   بمدحكَ يا مَن قد غدا مدحُهُ فرضي
نضيتُ ظُبَى عزمٍ نضا صِبغَ مأْثمي   وسرتُ ونِضْوَ القول في مدحكم أَنضي
ولم أَرَ كفّاً عن مديحكَ إِنَّهُ   علا عن وضيعِ الخبنِ والكفِّ والقبضِ
فإِن لم تُلاحِظْني بعينٍ بها الرِضَى   فمَن ذا يراني أَو إِلى مَن تُرى أَمضِي
أَيا يوسُفُ الصدِّيقُ يا خيرَ شافعٍ   تَشفَّعْ بنا يومَ القيامةِ والعَرْضِ
وهَبْني أَيا ختمَ الطَهارةِ مَخلَصاً   بحُسنِ ختامٍ ختمهُ غيرُ منفضِّ

في توبيخ السادوميّين ووصف شقائهم ومدح مريم البتول

(دير مار يوحنا، سنة ١٧٢٠)

خَبِّرونا معاشرَ الفُسَّاقِ　　أَمرَ ذاك البلَى وذاكَ المِحاقِ
يومَ أَهمَى عليكُمُ اللهُ عدلاً　　وَبْلَ نارٍ من عالياتِ الطِباقِ
تطلُبُ النارُ بالغريزةِ فَوْقاً　　كيفَ قد أُحدِرَت إلى الأعماقِ
كيفَ بالقَسْرِ قد هَوَت نحو أَرضٍ　　وَهْيَ تسمو على الهوا بالتراقي
وغَدَوتُم رمائماً بل رَماداً　　قد ذَرَتهُ السَمُومُ في الآفاقِ
فنَما الفِسقُ مُنذُ ذاك بخَلْقٍ　　خُلِقوا من ذمائِمِ الأَخلاقِ
فُحْشُكم عَمَّ كلَّ أَرض وقُطرٍ　　سِيَّما في شَامِها والعِراقِ
آلَ لُوطٍ كأَنَّما من ثراكم　　كُوِّنَ اللائطونَ أَهلُ النِفاقِ
بَطُؤَ اللهُ بالتجسُّدِ لكن　　بدعكم كان علّةَ الاعتياقِ
قد صَدَرتم عن الحياةِ وأَنتم　　تَرِدُون الرَدَى بكأْسٍ دِهاقِ
نَعَبَ البُومُ في عِراصِ حِماكم　　ليسَ شيءٌ سِوَى الإلهِ بباقِ
عاثَ فيها البَوارُ طُولاً وعَرْضاً　　واستباها الدمارُ باستِيثاقِ
فتَداعَت أَمصارُها مثلَ ريحا　　إِذ تَداعَت بجلبةِ الأَبواقِ
ما بها من مُجاوِبٍ لمُنادٍ　　لا ولا من مُودِعٍ أَو مُلاقِ
وإِلى الآنَ فالشُهودُ عليكم　　ثَمَراتٌ تروِي عن الإحتراقِ
بدُخان تَضمَّنَتْهُ نَباءً　　عن قَضاءِ المُهَيمِنِ الخَلاّقِ
وأُصولٍ غُصونُها ذاوياتٌ　　عَرِيت من ملابس الأَوراقِ
أَرعَدَ اللهُ من عَلاهُ برُجْزٍ　　فابتداهُ بمُومِضٍ أَلاّقِ
رَتَعَت منكم اللحاظُ بنُورٍ　　هُوَ نارٌ مَزيدةُ الإِشراقِ
ونَعِمتم بحَرّها فنعيماً　　دائماً مُطلَقاً بغيرِ طَلاقِ
ارفعوا الهامَ وانصِبوا اللحظَ منكم　　لِمْ خَفَضتم بهِ إِلى الإطراقِ
جاءَكم هاتفُ الحِمام حثيثاً　　فاعقِدوا للرحيلِ حبكَ النِطاقِ

فَهْوَ خيرٌ من علَّةٍ ودواءٍ ... وطبيبٍ عِلاجُهُ غيرُ باقِ
ونِزاعٍ على فِراش المنايا ... والْتِحادٍ محكَّمِ الإغلاقِ
كلُّ حَيٍّ من الأَنام لموتٍ ... واجتِماعٍ مصيرُهُ لفِراقِ
قد أَمِنتم دَبَّ الوُحوشِ إليكم ... وبلىً تحتَ هَبْوة الأَطباقِ
غيرَ أنَّ الذي هلَكتُمُ فيهِ ... مستمرٌّ بكم على الإطلاقِ
قد نسجتم لكم غلائلَ يأْسٍ ... وثيابَ الرجاءِ من أَخلاقِ
واتَّخذتم من الحياةِ نصيباً ... وَهْوَ يومَ المَماتِ شَرٌّ خَلاقِ
هل وَثِقتم من العَذابِ لهذا ... أَنتمُ في لَظىً شديدِ الوَثاقِ
يا لسِربٍ مُنِي بقُولَنْجِ فِسقٍ ... فأَتاهُ الدَمارُ كالتِرْياقِ
أَرسلَ اللهُ نَبْلَهُ فذراهم ... من حُصون منيعةِ الرُسْتاقِ
أَظمأَتْهم تلكَ الصواعقُ لكن ... سوفَ يُرويهم بِشُربِ الزُعاقِ
وابتلاهم برعدةٍ أَخَذَتْهم ... من مَهيل الإرعاد والإبراقِ
أَعرَقَتْهم شَآمةٌ لا مَناصٌ ... لهمُ بالإشآم والإعراقِ
وبُروقٍ لمَّا بدت عرَبْسَتْهم ... فرعَوْها بمَدْمَعِ الآماقِ
مُذ سقى جسمَهم ولِيُّ اصطِلاءٍ ... سَحَّ وَسْميُّ دمعهم كالسواقي
فتَرُوا في محبَّةِ اللهِ قلباً ... فصَلاهُ بجُذوةِ الإحراقِ
أُشعِلَ الجمرُ منهُ لكِنَّ أنَّى ... لم يَبُخْ منكمُ بسَحِّ المآقي
عن سِفاحٍ محرَّمٍ ولِواطٍ ... وبِدالٍ وغُبَّرٍ ونِفاقِ
ثمّ عزلٍ ينفي اللِقاحَ تَلاهُ ... ولَعٌ لن يُباحَ بالإتِّفاقِ
كلُّ إلفٍ بإلفهِ مُتَكَفٌّ ... كلُّ عِلقٍ بمثلهِ ذُو اعتِلاقِ
لم يَزَل بعضُكم يرضّعُ بعضاً ... من فواق النِفاق سُوءَ النِفاقِ
وكَرِعتُم عندَ الظَماءِ أُجاجاً ... يا لهُ من فُجورِ ظامٍ وساقِ
خِلتمُ أَرْيَ ما اضَّلعتُمُ حُلواً ... وَهْوَ شَرْيُ الطُعومِ مُرُّ المَذاقِ
وصِغار توحَّموا بِكبارٍ ... فأَتَوْا مِثلَهم بحُسنِ انتِساقِ
كمواش توحَّمت بعُصيٍّ ... وُضِعَت عِندَ وِرْدِها في المَساقي

كلُّ شخصٍ أَضحى التنازُعُ فيهِ فَهْوَ موضوعُ عاملي الإنشقاقِ
إن يكن مَصدرٌ وفيهِ اعتِلالٌ أَشبهتهُ الأَفعالُ بالإشتقاقِ
لَحِقوا في مَسيرِهم لاحِقيهم كم وكم مُعربٍ على الإلحاقِ
يَتجاروْنَ بالفَسادِ وكلٌّ مُستعِدٌّ بعَضْبهِ للّحاقِ
قُربُهم بالجُسوم فهْوَ كحَرْفِ ال باءِ بالجرّ خُصَّ بالإلصاقِ
سَكَنوا في اللَظَى بجازمِ سُخْطٍ بعدَ ذاك الحَراك والإخفاقِ
رَقَدوا في هواهمُ فاستفاقوا وهُمُ قُطبُ دائرِ الإقلاقِ
ذلك الإقتراضُ جِسماً بجسمٍ قد حباكم جَسامةَ الأَوثاقِ
قَرْضُكم في الكَساد مُدٌّ بصاعٍ بكَمِ الصاعُ في زَمانِ النَفاقِ
تَتقاضَوْنَ بالتقايُض حقّاً مُحرماً في المبيع والمسواقِ
قد شنيتم بذا التعارُضِ عِرضاً بيعَ منكم بأَبخَس الأَسواقِ
يا ليكيفيَّةٍ بكم قد تناهت في اشتِدادٍ بالخَرْقِ والإنخراقِ
عَرَضٌ قد أَهان جوهرَ عِرضٍ فادرِكوهُ بلُؤْلؤِ الآماقِ
لن تُفيدَ الأَثيمَ أَدمُعُ بأْسٍ بل دموعُ الرَجاءِ بالإنسحاقِ
أَيُّها الفاسقُ الملّقُ آهاً من دواهي لِسانك الملّاقِ
صدَّك اللّهُ بالبلَى والبلايا والأَذى والشَقاءِ والإملاقِ
ليسَ ملكُ الإلهِ لَذَّةَ جِسمٍ بل عناهُ بشدَّةِ الإعراقِ
جَدِّدِ القلبَ تَملِكِ الطُهرَ إذْ لن يُحفَظَ الخمرُ في رثيث الزِقاقِ
وانبُذَنْ ما جنيتَهُ مستمدّاً فضلَ ذاتِ الحُنُوّ والإشفاقِ
مريمَ البِكر عينِ كلِّ سَناءٍ أَشرفِ الخَلْقِ صُفوةِ الخَلّاقِ
سادت الناسَ والملائكَ طُهراً بالغاً بالغُلُوّ والإغراقِ
بحرُ جُودٍ يَمُدُّ من غير جَزْرٍ زادَ في الناسِ فيضُهُ باندِفاقِ
فُلكُ نوحٍ وقوسُ عهدٍ وثيقٍ ثابتٍ وَهْيَ قُبَّةُ الميثاقِ
وَهْيَ بابٌ قد جازهُ حِكمةُ اللّهِ وما زالَ مُحكَمَ الإغلاقِ
باتِّقاً رُوحَهُ نظيرَ أَبيهِ فَهْوَ والآبُ مَصدَرُ الإنبثاقِ

وتَشَبَّثْ بها إذا شِئْتَ تَرقَى ... للعُلَى فَهْيَ سُلَّمٌ ومَراقِ
ليسَ يجلو صَدَى القُلوبِ سِواها ... فَهْيَ نُورُ العُقولِ والأَحداقِ
أَدرِكِينا فلا يَشُقُّ عليكِ ... أن تَشُقِّي ملابسَ الإنشقاقِ
قد شَقِينا وقد غَدَوْنا أَسارَى ... وحَيارَى من حين وَقْعِ الشِقاقِ
لَسْتُ أَلقَى سِواكِ عنِّيَ يُلقِي ... عِبْءَ ثِقْلِ الهُمومِ ممَّا أُلاقي
كم وكم قلَّبَت خميساً وقلباً ... ذا جَناحٍ لِمُرهَفاتِ الرِقاقِ
فَهْيَ تسطو على العُداةِ ببأْسٍ ... لا ببِيض الظُبَى وسُمْرِ الرِشاقِ
فاجبُري يا بَتُولُ قلباً كسيراً ... رام منكِ الوقاءَ يا خيرَ واقِ
لَذَّ لي في هَواكِ ذُلُّ غرامي ... وهِيامي وصَبْوتي واشْتِياقي
إنَّني لا أَزالُ في كلّ وادٍ ... هائِمَ القلب هاميَ الآماقِ
أَودِعيني السَلامَ أَو وَدِّعيني ... عن أَمانٍ من قبلِ وشك الفِراقِ
إنَّ ذَنْبي قَضَى عليَّ فِراقاً ... ليتَ شِعري متى يكونُ التلاقي
أُرفُقي بي فرُفقتي غادَرَتْني ... إنَّكِ في الأَنامِ خيرُ الرِفاقِ
فعليكِ السَلامُ ما نَسَّم الرو ... ضُ ولَذَّ النسيمُ للإنتِشاقِ
وتلظَّت حشاشةٌ وفُؤَادٌ ... من مُحِبٍّ متيَّمٍ مُشتاقِ
وتصافت عشيرةٌ لوِدادٍ ... وصَفَت أَدمُعٌ من العُشَّاقِ
وتبدَّى من بعدِ ليلٍ نَهارٌ ... آخذٌ من دُجاهُ بالأَطواقِ
واستُحِثَّت إلى حِماكِ المطايا ... سارعاتٍ تَمُدُّ بالأَعناقِ

في ذِكر سقوط كوكب الصبح ومدح مريم البتول وابنها

(في دير مار إلياس النبيَ بقرية المحيدثة سنة ١٧٣٠)

أَتلفتَ فَهْمَكَ فيْ ضِيائِكْ　　　ورَفَعتَ قلبكَ فيْ بَهائِكْ
يا حاملَ الأَنوار قد　　　أَظلمتَ عقلاً باستضائِك
يا كوكبَ الصُبحِ المُنيرِ لِمَ انهبطتَ مِنِ ارتقائِك
فوقَ الكواكبِ قلتَ أَن　　　تَعلَى مَكانَكَ لاعتِلائِك
مُتَشبِّهاً بإلهك ال　　　عالي وذاكَ لِكبْريائِك
فطُرِحتَ نحو أَسافل　　　وغَدَوتَ تعدو في اعتِدائِك
ووُضِعتَ لمَّا إن رُفِعتَ ولم تُخيَّب من جزائِك
رُمتَ الكِفايةَ بالتقدُّمِ فانكفَأْتَ إلى وَرائِك
وهوَيتَ لمَّا إن علَو　　　تَ فجُزتَ في مَهوَى انهوائِك
وأَبَيتَ أن تعنُو لمَن　　　أَعناك فاثبُتْ في عَنائِك
لو أن رَدَدتَ مُجيدك ال　　　سامي لربّكَ في سَمائِك
لَسَمَوْتَ مرتقياً ولم　　　تعتضْ بيأْسك عن رَجائِك
بدقيقةٍ عقليَّةٍ　　　أُوجِدتَ لكن من سَوائِك
متحلّياً بقلائد ال　　　إنعام تزهو في نَقائِك
كُوشِفتَ عن سِرٍّ مَصُو　　　نٍ عنك من فرطِ ازدِهائِك
شِئْتَ اتِّحادَ اللهِ فيكَ يُرَى لِعزّكَ في سَنائِك
وقدِ انبَرَيتَ لرفْضِ مَن　　　أَبراك فاثبُتْ في انبرائِك
نحوَ الجحيم مُغلَّلاً　　　إذ ليسَ فَكٌّ من حبائِك
أُلقِيتَ في النيران فار　　　تفعَ اللهيبُ إلى لِقائِك
هذا جَزاءُ الكِبْرِ فانعَمْ في جوائز كِبْريائِك
وغدا لكَ السجِّينُ مأْ　　　وىً فاغتبط بلَظَى ذَكائِك

متعذّباً بدوام طَبْعك والإله مَدى بَقائك

قد أَوجبَ الكِبْرُ الرديُّ   عليكَ ملزومَ انتِفائك

ولأَجلِ هذا لم تَزَل   تدعو الأَنامَ إلى اقتِفائك

جَلَّ الإلهُ فما أَمرَّ   مرارَ نفسِك في شَقائك

شَتَّانَ ما بينَ انتِها   ئِك يا رجيمُ مِنِ ابتدائك

ضِفْ يا غبيُّ شُروقَ شمسك في السَماءِ إلى انمحائك

قابِل ظُهورك بالإنا   رةِ والبَهاءِ إلى اختِفائك

لو كُنتَ تقتضي البكاءَ   لقُلتُ زِدنا من بُكائك

ذا داؤك الزَّمِنُ العُقا   م فلا سبيلَ إلى دَوائك

جاذَبتَ بالذَنْب الذي   لك وَهْوَ مَعْنَى سُوءِ رائك

ثلث الكواكب فانهوَوْا   لَمّا انهوَوْا بصدَا مُكائك

وعَدَوْا لرأْيك فاعتَدَوْا   لَمّا انعَدَوْا بسقام دائك

وغَدَوْا جميعاً بالضَلا   لةِ تحتَ بَنْدك أَو لِوائك

واصطَدتَهم لَمّا طرحتَ عليهمِ منك الشبائك

وجَرَحْتَهم جُرحاً غدا   متماسياً بمَضا شَبائك

فمَضَى عليهم أَمرُ رَبٍّ   قاطعٌ هُوَ من مَضائك

أَللهُ زِدْ سُوءاً لِمَن   رَغِبوا الجُنوحَ إلى سَوائك

يا أَيُّها المَولَى لَقد   جلَّت صِفاتك في صَفائك

بَهَرَ المَدارِكَ والنُهى   مَعنَى وُضوحِكَ في خَفائك

فتجمَّعَت بل أَجمعَت   كلُّ القُلوبِ على وَلائك

يا مَن تردَّى جِسمَنا   ظَلِّل علينا في رِدائك

وهَبِ الوِقايةَ أَنفُساً   ليست تَرومُ سِوَى وِقائك

بشَفاعةِ البِكرِ التي   هِيَ خيرُ خَلْقك في مَلائك

تِلكَ التي عيَّنتَها   وعَنَيتَ عنها في نَبائك

مَن قد سَمَت بتَواضُعٍ   وتَسنَّمت أَعلى الأَرائك

أُمُّ الإلـــهِ البكـــرُ تـــا ـــــ جُ النـــاس بـــل تـــاجُ الملائـــك
تَـــوراةُ مُوسَـــى أنبـــأت ـــــ عنهـــا وســـائرُ أنبيائِـــك
قامـــت بحُجَّـــةِ فَـــضلِها ـــــ أهـــلُ النُهَـــى مـــن أتقيائِـــك
ثُـــمَّ القُـــرونُ بأنَّهـــا ـــــ هـــيَ بكـــرُ أبكـــار اجتبائِـــك
كانـــت جميعـــاً قبلَهـــا ـــــ خلـــواً وصـــفراً مـــن خَلائِـــك
حتّـــى اســـتتمَّ الوعـــدُ فيهـــا حَـــسْبَ أمـــرك واقتِـــضائِك
وافيـــتَ منهـــا للبريَّـــةِ باختِيـــارك وارتِـــضائِك
فملأْتَتـــا بـــرّاً وكـــلٌّ ـــــ نـــالَ مـــن فـــيض امتلائِـــك
واختَرتَهـــا بكـــراً وأُمّـــاً ـــــ دُونَ خَلْقِـــكَ مـــن نِـــسائِك
فعلَـــت علـــى أرواح كـــلِّ المعـــتلينَ إلى عَلائِـــك
وَقَـــضَيْتَ ألاّ أمْـــنَ إلاّ ـــــ هـــا لخَلْقِـــك مـــن قَـــضائِك
وبـــدونها لم يُلـــفِ جـــا ـــــ نٍ قَـــطُّ منجـــىً مـــن بَلائِـــك
هـــيَ صُـــفْوةُ الكـــونَينِ إذ ـــــ ســـبقت بـــآزال اصـــطِفائِك
وخُلاصـــةُ الموجـــود إذ ـــــ عُنيَـــتْ بـــإخلاص اعتِنائِـــك
لم تُفـــدَ مـــن ربَقـــات أَســـرِ العَـــذلِ إلاّ بافتـــدائِك
مـــا حـــاكَ بُـــردَ المـــدح يـــو ـــــ مـــاً فيـــكِ إلاّ خـــيرُ حائـــك
وخـــلاصُ ســـبكِ الـــنظمِ فيـــكِ لقـــد غـــدا أَســـنَى الـــسبائِك
مـــا ماجـــت الأكـــوانُ بـــال ـــــ إنعـــام إلاّ مـــن سَـــخائِك
مـــا فـــاز بالإِفـــضال أهـــلُ الفـــضلِ إلاّ مـــن عَطائِـــك
مـــا أُثريَـــت أهـــلُ الثـــراءِ ـــــ الجَـــمِّ إلاّ مـــن ثَرائِـــك
مـــا انجابـــت الأغـــساق بـــال ـــــ إشـــراق إلاّ مـــن سَـــنائِك
مـــا حـــازت الأفـــلاكُ ذي ال ـــــ أَضـــواءَ إلاّ مـــن ضِـــيائِك
لم تُبـــتَنَ الـــسمواتُ وال ـــــ أرضُـــونَ إلاّ مـــن بِنائِـــك
مـــا استنـــشقَت أرواحُنـــا ال ـــــ أرواحَ إلاّ مـــن هَوائِـــك

مــــا اشــتـدَّتِ الــنـيرانُ بــال إحــــراقِ إلاَّ مــــن ذَكـائِـــك
مــــا غُـــذِّيَ الحَيَــوانُ وال مَوَتــانُ إلاَّ مــن غِـــذائِك
مــــا نَــمَّ خِـــصبُ الناميــا تِ وفـــاضَ إلاَّ مـــن نمائِـــك
لم يُـــثنَ عنـــكِ نُهـــىً ولم يـــستثنِ نُطـــقٌ في ثَنائِـــك
فلـــكِ الثنـــاءُ المُـــستطا بُ شَـذاهُ مـن فَـمِ أوليائِـك
والمُـــصطَفَينَ جمـــيعِهم أَبـــداً وزُمـــرةِ أَصـــفِيائِك
مـــا حجَّبَتْـــكِ ملائِـــكٌ لم تـــستطع مـــرأى بَهائِـــك
وتراقـــــــت الأَرواحُ في تعظـــيمهم ســـامي رقائِـــك
حَمْـــداً يـــدومُ بـــلا انتِهـــاءٍ مــــصحباً عــــدم انتِهائِـــك

في مدح مريم البتول الكلّيّة الطهر والقداسة

يـا سِـدرةَ المُنتَهَـى أَللّهُ رقّـاكِ ... طُوبـاكِ يـا مُنتَهَـى الآمـالِ طُوبـاكِ
يـا نُـورَ عـرش إلـهٍ أنـتِ صُـفْوتُهُ ... وخـيرَ خلـقٍ يُرَجّـى نَيـلُ جَـدْواكِ
كـأنَّ مـرآكِ مِـرآةُ الإلـهِ تُـرَى ... أَسـنَى بـواهرِهِ في حُـسن مـرآكِ
لـن تنتهـي قُـدرة اللّهِ العظـيمِ ولكـنَّ انتهـت مـذ نهـت إبـداعَ مَعْنـاكِ
إن كـان يتّلـدُ ابـنُ اللّه ثانيـةً ... يُـرَى شـبيهُكِ بـل حاشـاكِ حاشـاكِ
رَقِيـتِ مهـروزة الأنـوارِ تَرفَعُهـا ... إلى فـسيح العُلَـى أعـضادُ أَمـلاكِ
لقـد حكمـتِ بـأَمر اللّه في نِعَـمٍ ... لم يُؤْتَهـا بَـشَرٌ إلاّ بنُعمـاكِ
وصـوتُ ربّـكِ يـدعوكِ بكـلِّ رِضـىً ... أَلا ادخُلـي بـسَلامٍ دارَ مَثْـواكِ
لـكِ الكَرامـةُ في دار الكَرامـةِ مـن ... ربّ الكَرامـةِ وَهْـيَ الآن مـأْواكِ
لـكِ الملائـكُ تعنـو وَهْـيَ خاضـعةٌ ... إذ أَنـتِ مـولاتُهم يـا أُمَّ مـولاكِ
من لم تَسَعْهُ السمواتُ الرحابُ غدا ... بمُعجِـزِ اللّهِ موسـوعاً بأَحـشاكِ
ومـانحٌ شـعبهُ مـن صـخرةٍ عَـسَلاً ... ومُمطِـرُ المَـنِّ قـد غـذّاهُ ثـدياكِ
حُـزْتِ الخِـلالَ الـتي مـا حازَهـا بَشَرٌ ... فـاللّهُ مـع ذاتـهِ بالمجـد سـاواكِ
إن كـان مـدحٌ ففيـكِ المـدحُ أَجـوَدُهُ ... أَو كـان نظـمٌ فـلا يقـضيهِ إلاّكِ

في مدح مريم البتول (سنة ١٧٤١)

إِنْ حادثٌ يختصُّ أَو يَشمَلُ وكارثٌ يَصْعَدُ أَو يَنزِلُ
وأَزْمةٌ تُنشِبُ أظفارَها ومِحْنةٌ تُدبرُ أَو تُقبِلُ
وكُربةٌ جُلَّى أَلَمَّت فما يُقشَعُ عنَّا ثوبُها المُسدَلُ
ونَكْبةٌ قد أدركت فجأَةً من أَجلِها كاد النُهَى يَذهَلُ
وعِلَّةٌ عَلَّت فُؤاداً ولم يَظفَرْ ببُرءٍ داؤُها المُعضِلُ
عليكَ بالبِكرِ مَلاذِ الوَرَى فَهْيَ المُنَى والأَمنُ والمَوئِلُ
واقصِدِ حِماها إِن تَكُن خائفاً فإِنَّها المَلْجَأُ والمَعقِلُ
لا تخشَ من صَعبٍ إِذا جِئْتَها فكلُّ حَزْنٍ عندها يَسهُلُ
ما عافها العافون إِذ إِنَّهم نالوا بها فوقَ الذي أَمَّلوا
إِن أَشكَلَ الأَمرُ فَرِدْ عِلْمَها ال شافي فكم حُلَّ بها مُشكِلُ
كم قد أَتاها نائحٌ نادبٌ ففاءَ مسروراً بها يَجذَلُ
حكَّمها اللهُ بآلائِهِ فكلُّ ما يُقسَمُ أَو يُرسَلُ
عن أَمرها الماضي وعن إِذنِها فلا إِلى مَن دُونَها تَحصُلُ
سَيِّدةُ الكَونَينِ مَن أَمرُها ماضٍ بلا رَدٍّ ولا تَفعَلُ
ومَلْكةُ الأَملاكِ مَن مُلكُها طولُ المَدَى والدهرِ بل أَطوَلُ
جاءَت برمزٍ جَبَلاً مُخصِباً مظلّلاً دانت لهُ الأَجبُلُ
عَنَت لهُ الأَملاكُ حتّى عَلَت منها على تِيجانِها الأَرجُلُ
ما طُغمةُ الكاروبِ إِلاَّ لَها جُندٌ لَدَى حَضرَتها مُثَّلُ
ما الأَطلَسُ النُوريُّ إِلاَّ بها يزهو وفيهِ نُورُها الأَفضَلُ
وما سَماءُ المجدِ ذاتُ البَها إِلاَّ ومريم بدرُها الأَكمَلُ
ما العالَمُ الأَعلَى الجميلُ السَنَى إِلاَّ سَناها الأَشرَفُ الأَجمَلُ
ما مَنزِلٌ في سِدْرةِ المُنتَهَى إِلاَّ بهِ يعلو لها مَنزِلُ
ما الكاملونَ الغُرُّ في نَوعِهِم إِلاَّ ومنهم مريمٌ أَكمَلُ

حازوا الكَمالَ التمَّ لكِنَّهم ... لولا يدا مريمَ لم يَكمُلوا
من حينِ ما ليسَ لهُ أوَّلٌ ... قد اجتباها الأزلُ الأوَّلُ
واختارَها أُمّاً لهُ عاتقاً ... من غير ما زرعٍ به تَحبلُ
والدةٌ عذراءُ مَن ذا رأى ... أُمّاً وبكراً أمرُها مُذهِلُ
حاكَ لهُ اللهُ بأحشائِها ... حُلّةَ إنسٍ حُسنُها آثلُ
من لم تُحيِّزهُ رِحابُ العَلا ... حازَ عليه البَشَرُ الأسفلُ
وحاملُ الكونَينِ في كفِّه ... على ذراعَيْ مريمٍ يُحمَلُ
يا خيرَ خَلْقِ اللهِ ما لي سُوَى ... فضلكِ يا غايةَ ما أسألُ
أنتِ عَصا هارونَ إذ فَرَّعَت ... فمن رأى يابسةً تَخضَلُ
وأنتِ قُدسُ القُدس ثمَّ الخِبا ... والعرشُ والتابوتُ والهيكلُ
وموضعُ الغُفرانِ بحرُ النَقا ... في مائِهِ آثامُنا تُغسَلُ
وجَرَّةُ المَنِّ وخُبزُ الوُجو ... هِ المانحُ الطُهرِ لِمَن يأكُلُ
أرجوك أُمَّ اللهِ أن تَعطفي ... نحوي لأنّي بائسٌ مُرمَلُ
لا تَخذُليني إنّني طالبٌ ... رِفدَكِ والطالبُ لا يُخذَلُ
كأنّما القلبُ بُغاثٌ وما ... أهمَّهُ البازيُّ والأجدَلُ
أشكَلَهُ الدهرُ بأشكاله ... فمَدْمَعي من خَطْبهِ أشكَلُ
جئتُكِ ظمآناً أرومُ الروا ... فإنّكِ المَوردُ والمَنهَلُ
نَزَّهتُ في حُبِّكِ عن شاغلٍ ... عقليَ والمشغولُ لا يُشغَلُ
بَرِئتِ بالعِصمةِ من وَصْمةٍ ... أورَثَناها جَدُّنا الأوَّلُ
كأنّما استثناكِ من ذا الوَرَى ... ممّا قَضاهُ الحاكمُ الأعدَلُ
فأنتِ آيُ اللهِ في خَلْقه ... معنىً لقد فَصَّلَهُ المُجمَلُ
ما فُهتُ في مدحكِ إلاّ وقد ... فاحَ أريجُ النّدّ والمَندَلُ
عليكِ ما هَبَّت جَنُوبٌ سَلا ... مُ اللهِ دهراً أو سَرَت شَمأَلُ

في أسرار الورديَّة الخمسة عشر

ورديَّـــــةُ العـــــذراءِ أُمِّ اللهِ قــــد
جـاءَت بخمـسةَ عَـشْرَ سـرّاً فائقـا

فَـرَحٌ وحُـزنٌ ثـمَّ مجـدٌ كـلُّ سـرٍّ
يحتـوي معنـىً أَكيـداً صـادقا

فتعبَّـدَنَّ بهـا لمـريم تحـظَ بـال
غُفـران إِمَّـا كنـت فيهـا واثقـا

واطلُـبْ شَـفاعتَها وقَـدِّمْ لابنهـا
بعـد انـسحاق الـروح قلبـاً وامقـا

عليكِ سَلامُ اللهِ ما دُمتِ مَلْجأً　　وظلُّكِ مأمونٌ منيعُ الجوانبِ
عليكِ سَلامُ اللهِ ما ضاءَ كوكبٌ　　وما زَحْزَحَت شمسٌ دُجونَ الغياهبِ

إيقونة سيّدة البشارة، تقدمة الخوري
نيقولاوس الصائغ إلى كنيسة شفبعه (١٧١٩)
وهي من عمل حننيا المصوّر

حُزْتِ الخِلالَ التي ما حازَها بَشَرٌ فـالله مـع ذاتـهِ بالمجـد سـاواكِ
إن كـان مـدحٌ ففيـكِ المـدحُ أَجـوَدُهُ أَو كـان نظـمٌ فـلا يقـضيه إلاّكِ

إيقونسطاس من خشب الجوز في كنيسة
القدّيس نيقولاوس – دير مار يوحنّا الصابغ
(من صنع الرهبان بين العامين ١٧١٩ و١٧٢٥)

من قول له يذمّ فيه مرأة السوء
ويمدح مريم البتول (سنة ١٧١٧)

تـــاللهِ إنَّ أُصُـــولَ الإثـــم أَربعـــةٌ ... تبّـاً لِمَـن كـانَ عنهـا غـير مُحتجِـبِ

وَهْـيَ النِسا والغِنَـى والسُـكرُ يَشفَعُهُ ... قُـبحُ البَطالــةِ ذاتِ اللَهْــوِ واللَعِــبِ

كيفَ التَخَلُّصُ مـن هـذي الفِخـاخ إذا ... لم تَلتفـت مـريمٌ نحـوي وتَلطُـفَ بـي

بتولــةٌ لم أَضِـقْ ذَرْعــاً فعُــذْتُ بهــا ... إلاّ وفرّجــتِ الــضيقاتِ بالرُحُــبِ

مــا أَســفَرَتْ لحليــفِ الغَــمّ طلعتُهــا ... إلاّ وبَــدَّلَتِ الأَحــزانَ بــالطَرَبِ

بكــرٌ ووالــدةٌ فــاعظِمْ بهــا لَقَبــاً ... إشــارةً بهمــا عــن أشـرفِ اللقـبِ

رَقَت بمجـدٍ إلى السَبْعِ الطِبـاقِ وقـد ... أزْرَت بأَفلاكهــا والــسبعةِ الــشُهُبِ

سُـلطانةُ الأرضِ طُـرّاً والـسماءِ لقـد ... عَلَـت بـدُونِ حِجـابٍ عـاليَ الحُجُـبِ

لــذا الملائــكُ دانـت نحـو خِـدْمَتِها ال ... فُـضلَى وكـلُّ رسـولٍ فاضـلٍ ونَبـي

والآبُ فَخّمَهـــا والإبـــنُ كَرَّمَهـــا ... والــرُوحُ عَظَّمَهــا في أَمجَـدِ الرُتَـبِ

يــا أُمَّ أَفــضلِ مولــودٍ بمَولــدِهِ ... رَجــاءُ آدمَ مِمَّــا رامَ لم يَخِــبِ

لقــد حَـصلَتِ لإنقـاذِ الـوَرَى سَـبباً ... إنَّ المُــسبَّبَ منــسوبٌ إلى الــسَبَبِ

وقـد تملَّكـتِ كُلّـي يـا بتـولُ لـذا ... سِواكِ لـو شبتُ مـع حُبِّيـكِ لم أَشُـبِ

كـأنَّ فـضلَكِ مـرأى نـاظري بَـصري ... فحيثُمـا مِلـتُ عـن عينَـيَّ لم يَغِـبِ

وعائــبٍ قــد لحــاني في مَحبَّتِهــا ... إليــكَ عنّــي فلـو أنـصفتَ لم تَعِـبِ

لـو ذُقتَ يـا لائمـي مَجنَـى مَحامـدِها ... لم تُوجِـبِ الآنَ مـا بالحُـبِّ لم يَجِـبِ

هــذي الــتي أدرَكَتْنــا بالنجــاةِ وقــد ... كُنّـا وريـحَ مَـساوِي العُمـر كالقَصَبِ

هــذي الــتي عمَّنــا إفــضالُ نائِلِهــا ... مـاذا البُحـورُ ومـاذا فـائضُ الـسُحُبِ

إنّــي أَميـل بـذِكرَى مـدحِها طَربـاً ... كـأنّني ثَمِـلٌ مــن خمــرةِ العِنَــبِ

كــرِّرْ نِـداها وقُـل يـا خـيرَ بنـتِ أَبٍ ... يـا خـيرَ بنـتِ أَبٍ يـا خـيرَ بنـتِ أَبِ

طوباكِ يـا مـريمُ البكـرُ الـتي نَـشرَت ... رايـاتِ آياتِهــا في العُجْـمِ والعَـرَبِ

مـا لـي سِوىَ ظِلّـكِ المأمون إنَّ بـهِ ال ... أمـانَ يُنقِـذُ نفـسي مـن يـدِ الرَهَـبِ

لــكِ الــسلامُ أَيَــا ســؤْلي ومُعتَمَــدي ما غنَّت الـوُرْقُ أَسحاراً على القُضُبِ
لـكِ الـسلامُ مَـدَى الأَيـام مـا رَفَـعَ ال حــادي عقيرتَــهُ في الــسيَرِ بالنُجُــبِ
لـكِ الـسلامُ من الرَحْمان مـا سَمَحَ ال فِكـرُ الـضنينُ بمـدحٍ فيـكِ بالنُخَـبِ
لقــد تَــزيَّنَ شِـعري في مــديحكِ مِثْلَمــا تَــزيَّنَ ثَغْــرُ الكــأْسِ بالحَبَــبِ
فــدُونكِ الــنظمَ دُرّاً فيــكِ منتظمــاً بمدحــةٍ نُظِمَــت للحُــسن بالــسُخُبِ
تُــشجِيهِ غِرّيــدةٌ في روضــةٍ رَوِيَــت مـن نَـوْءِ بحـرٍ بـسيطِ المـدح مقتَضَبِ
حُـسنَ الـتَخَلُّصِ يـا خـتمَ المواهـبِ في حُـسنِ الختـامِ لراجيـكِ الأَثـيمِ هَبِـي

من قول له يهجو فيه مرأة السوء ويمدح مريم البتول

فلولاكِ حَوَّاءُ العَصِيَّةُ لم نَلِجْ ... بلُجَّةِ ذي الدُنيا ووادي المتاعبِ

ولولاكِ ما نِلنا هَلاكاً مُؤَبَّداً ... قِصاصاً بعدلٍ بَيِّنِ الحقِّ واجبِ

ولولاكِ لم يُلفَ الإلهُ معلَّقاً ... على العُودِ مصلوباً كَلصٍّ وناهبِ

إلهٌ فَدَى جِنسَ الأَنامِ بموتهِ ... وأَنقَذَهُمْ من شرِّكِ المُتَعاقبِ

ولو لم تَكُنْ من جِنسِكِ البِكرُ مريمُ ال ... بتولةُ مَن خُصَّت بأَسنى المواهبِ

لَمَا نَظَرَت عينٌ إليكِ ولا صَغَت ... لكِ الأُذنُ بل ما زلتِ أَخيَبَ خائبِ

فأَنتِ لَقد سبَّبتِ موتاً ومَهبطاً ... وتلكَ حياةٌ في عُلُوِّ المراتبِ

شفيعتُنا يومَ الزحامِ وذُخرُنا ... كُفِينا بها شَرَّ الذُنوبِ الرواتبِ

هِيَ البحرُ زُجَّت فيهِ أَوساقُ ذَنْبِنا ... فسِرْنا بأَمنٍ في أَمينِ المراكبِ

هِيَ الجَسْرُ نحوَ اللهِ فيهِ جوازُنا ... ومَنْجاتُنا من طَغْيِ ماءِ التجاربِ

هِيَ العُروةُ الوُثْقاءُ والجَنَّةُ التي ... بها رُدَّتِ الأَعداءُ كُهْمَ القواضبِ

هي اللأْمةُ التَقْياءُ والمِغفَرُ الذي ... يَطِيشُ بهِ قصدُ السِهام الصوائبِ

تميحُ بلا حَضٍّ ولا حَثِّ طالبٍ ... بها يَجِدُ الطُلاَّبُ نُجحَ المَطالبِ

فما رَذَلَت مَن شاءَ منها انتِخابَهُ ... ولا طَرَدَت من مجدِها نفسَ آئبِ

تُسَرُّ بمرآها القلوبُ وتختشي ... ومُجتَمَعُ الضِدَّينِ أَسنَى العجائبِ

فتُوضِحُ من عظمِ البَهاءِ بمَوكِبٍ ... ومن فَرْطِ إجلالِ السنَى في كتائبِ

إليكِ أُنادي يا بتولُ تشفَّعي ... إلى اللهِ بي إذ لم تَرَيْ ردَّ طالبِ

قِفِي رَيْ أَأُمَّ اللهِ غِيثي تَلَطَّفي ... أَعِيني انجِدي إهدِي اشدُدي أَزْرَ عاطبِ

أَسيرٌ كسيرٌ مُوجَعُ القلبِ بائِسٌ ... يَنُوحُ لِمَا أَبداهُ نَوحَ النوادبِ

هَبِي سامِحي اعفي ارفُقي أَشفِقي اعطِفي ... أَمِيلي ارحَمِي أَصغِي اسمعي صوتَ نادبِ

ذليلٌ كليلٌ مُثقَلُ الذنْبِ آئسٌ ... يَسُحُّ الدِما لا الدمعَ سَحَّ السحائبِ

أميحي امنحِي وَقِّي اكنُفي حَكِّمي ارفِدي ... أَنِيلي اسمَحي رِقِّي اقبَلِي نحب تائبِ

عليكِ سَلامُ اللهِ ما دُمتِ مَلْجَأً ... وظِلُّكِ مأمونٌ منيعُ الجوانبِ

عليكِ سَلامُ اللهِ ما ضاءَ كوكبٌ ... وما زَحْزَحَت شمسٌ دُجونَ الغياهبِ

من قوله في مدح الأب الفاضل والعالم العامل
جبرائيل بن فرحات
القسّ الراهب اللبنانيّ الحلبيّ (سنة ١٧٢٤)

سميٌّ بشيرِ البكرِ مريمَ والتي بها انجابَ ليلٌ بالضلالةِ مسودُّ
بتولٌ وأُمٌّ حيَّرَ الفَهْمَ أمرُها أَبَى اللّهُ أن يَحوِي فضائلَها حدُّ
أَبَت أن تَرُدَّ السائليها لأنَّها لها مُزنُ جُودٍ ما لسائلهِ ردُّ
هيَ الحُسنُ الموموقُ من كلِّ مُتَّقٍ فما هندُ ما بين الأَنامِ وما دعدُ
نِعِمَّا سُعودي حُبُّها وسَعادتي ولا حظَّ لي من دونِه لا ولا سعدُ
حِماها غدا للمستجيرِ حِمايةً ولا غورَ يَحميهِ سِواها ولا نجدُ
عليها سلامُ اللّهِ ما غرَّدَت ضُحىً حَمامةُ روضٍ فوقَ أدواحِهِ تشدو
وسارت مَطِيُّ العِيسِ سارعةً إلى حِماها بمدحٍ ظلَّ سائقُها يحدو

من قول له في مدح أحد أصدقائه وتعزيته
وقد ألمت به التجارب من المشاقين
إذ كان منتزحا عن وطنه (سنة ١٧٢٤)

دقيقـةُ حكـمٍ مـا لَنـا شـافعٌ بهـا ... لـدى اللهِ إلاّ مـريمُ العـاتقُ البكـرُ
هِـيَ البـابُ والمِعـراجُ نحـوَ وليـدِها ... بهـا لـيسَ إلاّ يَمَّحِـي الـذَنْبُ والـوِزرُ
أَيَـا نجمـةَ الفجـرِ الـتي جَـلَّ قَـدْرُها ... فمِن دُونِها الأَفلاكُ والشمسُ والبدرُ
أَيـا ذُخرَنـا المـأْمونَ في هَـوْلِ موقِـفٍ ... بـهِ مـا لَنـا عـن قُـبحِ سَـيِّئَةٍ عُـذرُ
أَتيتُـكِ يـا غَـوثَ الأَنـامِ وكـاهلي ... مـن الإثـمِ والأَوزارِ أَثقَلَـهُ وِقـرُ
عليـكِ سـلامُ اللهِ مـا لاحَ بـارقٌ ... ومـا بكـتِ الوَطْفـاءُ وابتسمَ الزَهْـرُ

من موشّح قاله يرثي به ملّة الروم المنشقّين
من الكنيسة البطرسيَّة كنيسة الله الكاثوليكيَّة
ويصِف ما هم فيه من الافتراء ويمدح الكنيسة الرومانيَّة
مبيّناً فساد إلحادهم (سنة ١٧٣٦)

بـالبَتُولِ البِكـرِ مَرْقـاةِ الـصعُودْ	للعَــلا مَــن حمَلَــت روحَ الوُجُـودْ
صَـفْوَةَ اللهِ ابنَهـا بحـرَ الــوُرُود	نَجِّنـا مِمَّــن أَذاهــم قـد زَخَـرْ

يا لَقومٍ

يــا شــفيعة جِنــسِنا يــومَ الزِحــامْ	إمنَحِينـا الـصفحَ مـع حُـسنِ الخِتـامْ
إنَّ ذا أَقـــصَى مَرامـــي والـــسلامْ	واخمِـدي شَـرَّ العِـدَى أَهـلِ الـوَغَرْ

يا لَقومٍ

من تعليم نافع في الصلاة قاله وهو في دير مار يوحنا (سنة ١٧١٧)

مولايَ جِئْتُكَ واقعاً   فخُذَنْ بناصيةِ الوَقُوعِ
وأَتيتُ بابَكَ قارعاً   إذ ليسَ غيرُك بالقريعِ
فارحَض بعفوِكَ مأثَماً   أَذِنَ المدامعَ بالهُموعِ
قاطعتُ أَترابي لربعك ثُمَّ بنتُ عن الرُبوعِ
واصلتُ حبلَ رجايَ فيكَ فلا تكُنْ أَبداً قطيعي
بشَفاعةِ البكرِ التي   هِيَ للورَى خيرُ الشفيعِ
إن أَسفَرَت يُزري سنا   ها بالنبارسِ والشموعِ
بل نورُها أبهى وأبهجُ من بَها نُورِ الرقيعِ
يا فرعَ أصلِ طَهارةٍ   نِعمَ الأُصولُ مَعَ الفُروعِ
هذهْ عَصا الفَوزِ التي   تُفني السيوفَ مَعَ الدُروعِ
مَن ذا يُذيعُ بفضلها ال   سامي على فَهْمِ المُذيعِ
أَتُراهُ يُدركُ ظالعٌ   في جريهِ شأْوَ الضليعِ
عطفاً عليَّ فدَرُّ رُسلكِ لن يَجِفَّ من الضُروعِ
لا مانعٌ أَن تَعطِفي   نحوي فهل لكِ من مَنُوعِ
أَنتِ الأَمانُ لخائفٍ   في موقِفِ العدلِ الفزيعِ
إنّي أَضعتُ العُمرَ بال   أَسواءِ واللهو المُضيعِ
أَتُرَى تعودُ سِنُو زَما   نٍ مرَّ في سِنَةِ الهُجوعِ
فكَمِ أضجعتُ لياليَاً   والفُحشُ كانَ بها ضجيعي
وزَرَعتُ شَحْناءَ الأَسَى   فحصدتُ يأْساً من زُروعي
بعتُ الثمينَ بأبخسِ ال   أَثمانِ يا خُسرَ المَبيعِ
وغَرِقتُ في بحرِ الجَها   لةِ حينَ هبَّ رَدَى صنيعي
ما حالُ فُلكٍ حطّمتهُ الريحُ وَهْوَ بلا قلوعِ
فلذاكَ يا مينا النجا   ةِ أُشيدُ من قلبٍ وجيعِ
يا قلبُ أُرجوها وثِق   أَبداً ولا تكُ بالجَزُوعِ

من قوله يرثي أخاً له من والديه توفي وهو شابّ (سنة ١٧١٦)

واندب على ماضي الزمانِ وحالك ال … أشقَى وما يأتي بهِ المستأنَفُ

يوماً تُدانُ بهِ الأنامُ جميعهم … ويَضمُّهم للحَشْرِ ذاك المَوقِفُ

يوماً بهِ لا يُرتجى بشَفَاعةٍ … إلاّ التي بعبيدها تتلطَّفُ

مَن لم يُفكّ ختامُ سِفرِ بَهائِها … كَلاّ ومعناهُ فليس يُحرَّفُ

بنتُ الإلهِ وأُمُّهُ وعَروسُهُ … شَرَفُ الملائكِ وَهْيَ منهم أشرَفُ

إن كنتَ يا هذا بذَنْبكَ مُثقَلاً … يَمِّمْ حِماها فَهْيَ عنك تُخفِّفُ

واعطِفْ فُؤادَكَ نَحْوَها فتشيمُها … بالجُود والإحسانِ نحوك تَعطِفُ

لا ترجُ إلاّها فليسَ بذا الوَرَى … منها أرَقُّ على العِبادِ وأرأفُ

ها إنَّ مَن فُتِقُوا بأَسهُم وِزرِهم … لولا حُنُوِّ البِكْرِ مَرْيَمَ ما رُفُوا

يا آثمينَ ثِقُوا بمريمَ إنّها … غوثُ البريَّةِ فاقصِدوها واكتَفُوا

واستدرِكوا إحسانها لِكنَّكم … بالإحتِشامِ إزاءَ حضرتها قِفُوا

يا صاحِ إنْ أوعدتَها بمحبَّةٍ … لا تُلفَ مِمَّن بالمحبَّةِ لم يَفُوا

تحلو محبَّتها بقلبي كُلَّما … قد لام فيها عاذلٌ ومُعنِّفُ

قد راق نظمي في رقيقِ نشيدِها … لكنَّها منهُ أرَقُّ وألطَفُ

كَرِّر على سَمْعي نِظامَ مديحها … فمَسامِعي بمديحِها تتشنَّفُ

وانعِش بشَجْوِك قلبَ عانٍ قد غدا … بثناءِ مريمَ وَهْوَ صَبٌّ مُشغَفُ

في رَوْضةٍ فَيْحاءَ من أظلالها … قد مُدَّ من فوقِ الأزاهر رَفْرَفُ

منها شِفا ضُعْفي أرومُ بذِلَّةٍ … فرَجايَ في إحسانها لا يَضعُفُ

يا صُفْوَةَ الرحمن يا كَنْزَ الشِفا … إشفِي ضَنَى جِسمي لأنِّي مُدنَفُ

قَسَماً وحُبِّكِ إنَّ حُبَّكِ مذهبي … وبغيرِ حُبِّكِ في الورى لا أحلِفُ

إنِّي أحوزُ بذِكرِ فضلكِ نَشْوَةً … فكأنَّ مدحكِ يا بتولةُ قَرْقَفُ

فلكِ السلامُ من الذي منكِ ابتدا … متجسِّداً وهو الإلهُ الأشرَفُ

ما زُخرِفت أبياتُ مدحكِ في الوَرَى … إذ لم يُفاخِر حُسنَ مدحكِ زُخرُفُ

وتخلَّصت ببَراعةِ المدحِ الذي … حُسنَ الختامِ بهِ وفيهِ يُتحَفُ

من قوله في نعت بيعة القسطنطينيّة المنشقّة
عن البيعة الرومانيّة ووصف إيمانها
وهو في دير مار أشعيا (سنة ١٧٢٥)

اللّهُ صُـــنّا مــــن أَذَى　　ذي المِلّـــــةِ المــــــشاقِقهْ
واحفَــظْ بيُمِنــك أُمَّـــةً　　ليــست بغــيرِك واثقــه
بمــريمِ الطُهـــرِ الـــتي　　هــي خــيرُ بكــرٍ عاتقــه
فَهْــيَ لنـــا مـــن رِقِّ سُـــلطانِ المعاصــي عاتقــه
مَــن قــد غــدت أضــواؤُها　　في كـــلِّ قُطـــرٍ شــارقه
ذاتُ العطايـــا والـــسجا　　يـــا والمزايـــا الفائقـــه
نُجُــبَ المــدائح نحوَهــا　　منَّـــا القـــرائحُ ســـائقه
كــم ذا لـــها مـــن أَنعُـــمٍ　　ســـــابقةٍ ولاحقـــــه
هـــذي الـــتي لفَتْقنـــا　　عنـــد الإلـــهِ راتقـــه
لَهـــا سَـــلامُ اللّهِ مـــن　　كـــلِّ البرايـــا الناطقـــه
مـــا فـــاحَ مـــن زهـــر الرُبَـــى　　نـــشرٌ يُلِـــذُّ ناشـــقَه

من قول له وقد استنشده إيّاه أحد إخوته ليبعث به إلى بعض خلانه في الديار المصريَّة تهنئةً له بالزواج وهو في دير مار يوحنا (سنة ١٧٢٠)

سِرٌّ تشرَّفَ في وِلادةِ مريمٍ — قد زان هام أُهَيلهِ الإكليلُ
إنَّ الزَوَاجَ مكرَّمٌ ومطهَّرٌ — فاعظِمْ بسرٍّ شادهُ الإنجيلُ
أَمَرَ الإلهُ لآدَمَ وَهْوَ في — عَدْنٍ وليسَ بأَمرهِ تبديلُ...
يا أَيُّهذا الأَلمعيُّ المنتمي — لجَنابهِ التوقيرُ والتبجيلُ
سُدْ وارقَ وابقَ وفُقْ وطِبْ واعظُم ودُم — عدلاً وما لكَ في الأَنام عديلُ
واستَلْئِمَنْ بمَلاذِ مريمَ في الورَى — فمَلاذُها المأْمول والمسئُولُ
خُصَّت بأفضلِ نِعمةٍ إذ جاءَها — في خِدْمةِ البَشْراءِ جِبْرائيلُ
نَسَخَت بمولِدها رُسوماً قامَ في — تحقيقها للناس ميخائيلُ
عَزَّت مَنالاً في الكَمالِ وعِزُّها — يَرتَدُّ عنهُ الضِدُّ وَهْوَ ذليلُ
وعلت إلى أَوجِ العُلَى بتواضُعٍ — قِدَماً تَنَكَّبَ عنهُ ساطانيلُ
بَحرُ الجَدَى لو رامَ حَدَّ صِفاتها — عَضْبُ اللِسانِ لَعادَ وَهْوَ كليلُ
فَضُلَت فضائلها بأفضلِ صِيغةٍ — فلها يحقُّ الفضلُ والتفضيلُ
قد نِلتَ ما أَمَّلتَ من إحسانها — حَسَنٌ بها وبفضلها التأْميلُ
بُرِئَت فكانت عِلَّةً لخَلاصنا — حقّاً وكان فِداؤُنا المعلولُ
يا ذُخْرَنا المأْمولَ في يومٍ به — يشدو ببُوقِ الله إسرافيلُ
إنِّي رَجَوتُكِ حين جلَّ مُساعدٌ — في مُعظَمِ الجُلَّى وعزَّ قبيلُ
حُزتِ الشَفاعةَ فاشفَعي بخَلاصنا — كَرَماً فأَنتِ الشافعُ المقبولُ

من قول له في تجلّي السيّد المسيح
على طور تابور (سنة ١٧٣٠)

فكم نِعمةٍ فُضلَى أَضَعتُ وإنَّني … غريمٌ لها والمُتلِفُ الشيءَ غارمُ
نظمتُ نِثارَ الإثمِ عِقدَ الردَى وما … شَعَرتُ فما أنا شاعرٌ بل ناظمُ
أفاعي ذنوبي دَبَّ في النفس سُمُّها … ومن نفثها المُردِي بقلبي سمائِمُ
أَراقمُ آثامٍ رَقَمْنَ ليَ الردَى … تجاوزَتِ الأَعدادَ واللّهُ راقمُ
كأنّي وفِعلاً رابَني حرفُ عِلَّةٍ … بفعلٍ إذا ما بادرَتْهُ الجوازمُ
ولكِنَّني لمَّا لَجَأْتُ إلى التي … لها الناسُ والأَملاكُ والعرشُ خادمُ
سَلِمتُ بها من رَيبٍ وعِلَّةٍ … كأنّيَ فعلٌ آمِنُ الجزمِ سالمُ
فكم من حُبَى إِثمٍ فرَتْها ببأسها … وقد عَجَزَت عنها السيوف الصوارمُ
وكم من صُكوكٍ قد مَحَتْها بجُودِها … وقد خَسِئَت عنها العُيونُ السواجمُ
وكم في حِماها خائفٌ ظَلَّ آمناً … وما كادَ تَحْمِيهِ القِلاعُ العواصمُ
وكم من أَياديها جَنَى الناسُ أنعُماً … فتلكَ أَيادٍ دُونَهنَّ الغمائِمُ
هِيَ الخبزُ والأَلواحُ والمنُّ والعَصا … هِيَ القُدْسُ حَقّاً وَهْيَ تلك العلائِمُ
هِيَ التاج والتابوتُ والهيكلُ الذي … لإجلالهِ الكاروب فيهِ مُلازمُ
مَنارةُ قُدسِ القُدسِ يزهو ضِياؤُها … لها سُرُجٌ تَنْجابُ منها المظالمُ
هي السُلَّم العالي التي لاحَ رَمْزُها … ليعقوبَ في تِلكَ الفَلا وهو نائِمُ
فلن تَبلُغَ المُدَّاحُ شَأْوَ مديحها … وهل ترتقي أَوجَ السماءِ النعائِمُ
فمَن يعتصمْ يوماً بأذيال غيرها … يَعُد ساحباً ذيلَ الحَيا وهو سادمُ
فمُنذُ حلَت عِندي مكارمُ فضلها … أَبَى اللّهُ أن تحلو لَديَّ أكارمُ
ولا راقَ طرفي غيرُ حسنِ بَهائِها … ولا حَسُنَت عندي الحِسانُ الكرائِمُ
أيا خيرَ خَلْقِ اللهِ إنّي لَقائلٌ … بكِ الحقَّ مِصْداقاً وما أنا زاعمُ
عليكِ سَلامُ اللهِ ما شادَ مادحٌ … مديحكِ في شعرٍ لهُ الروحُ ناظمُ
عليكِ سَلامُ اللهِ ما يَمَّمَ الهُدَى … وما ظَفِرَتْ بالعَفْوِ منكِ المآثمُ

عليـكِ سَـلامُ اللّهِ مـا نـاحَ آثـمٌ ... علـى إثمـهِ جُنحَ الـدُجَى وهـو جـاثمُ
عليـكِ سَـلامُ اللّهِ مـا حُثـتِ المَطـا ... ومـا دَمِيَـت بالـسَيْرِ منهـا المناسـمُ
عليـكِ سَـلامُ اللّهِ مـا اخـضَلَّ نابـتٌ ... وغنَّـت علـى أيْـكِ الرِيـاضِ الحمـائِمُ
عليـكِ سَـلامُ اللّهِ مـا حَـنَّ مُبعَـدٌ ... ومـا أنَّ مُـشتاقٌ ومـا رَقَّ راحـمُ
عليـكِ سَـلامُ اللّهِ مـا انتـشرَ الـصَبا ... ومـا نَشِقَت عَـرْفَ النـسيمِ الخياشـمُ
عليـكِ سَـلامُ اللّهِ مـا جـاءَ في الـوَرَى ... وليـدٌ ومـا نِيطَـت عليـهِ التمـائِمُ
عليـكِ سَـلامُ اللّهِ مـا بِـكِ أَبرعـت ... بـداياتُ مـدحٍ حَـسَّنَتْها الخـواتمُ

من قوله في دير مار يوحنـا ووادیه وإخوته متشوّقاً إليه وهو منتزح عنه (سنة ١٧٢٣)

خَـصَّني بـالبُؤوس دَهْـري ولكـن ... خَصَّـصَتْني البتـول بالإنعـامِ
فَهْـيَ للخـائفينَ أعظـمُ أمْـنٍ ... وَهْـيَ للمـستجير خَـيرُ مُحـامِ
وَهْـيَ بحـرٌ تُفِـيضُ أَسـنَى المزايـا ... وهْـيَ رِيٌّ لكـلِّ صـادٍ وظـامِ
هـا أَنـا خـادمٌ ببابـكِ ذُلاًّ ... فـاقبَليني مـن أصـغرِ الخُـدَّامِ
وارجعـيني إلى محـلِّ سـكوني ... حيـثُ لـي مـن أذى العُـداةِ تُحـامي
وامنحـيني صـفحَ الـذُّنوبِ وكُـوني ... لـي شـفيعَ الخَـلاصِ يـومَ الزحـامِ
فعليـكِ الـسَلامُ مـا فـاهَ نُطـقٌ ... فيـكِ بـينَ الـوَرَى بمـدحٍ نِظـامِ
وانبَـرَت في طُرُوسـها ناطقـاتٍ ... عنـكِ بالـشُكر أَلْـسُنُ الأقـلامِ
وحَظِـي منـكِ مـادحٌ بقَبُـولٍ ... قـد حَبـاهُ بالمـدح حُـسنَ الخِتـامِ

من قوله يشكو غدر أحد المنافقين (سنة ١٧٢٣)

أَيَــرُوعُ قلــبي شَــرُّهُ ومخلّــصي منــهُ المخلّــصُ والبتولــةُ مــريمُ
ذاتُ المقــامِ الــسامِ في فَلَــكِ العُلَــى في حُكمها كــلُّ القــضاءِ مــسلَّمُ
تُعطِــي وتمنــعُ ذاتَ أمــرٍ نافــذٍ تَنْهَــى وتــأْمُرُ بالأَنــام وتحكُــمُ
هــيَ مَعقِــلٌ للمــستجيرِ ومَلْجــأٌ للمستــضارِ وجَنَّــةٌ لا تُــثلَمُ
مَــن حَيَّــرَ الحُــذَّاقَ نعــتُ كَمالِهــا فلــسانُ كُــلٍّ عنــهُ أَخــرَسُ أَبكَــمُ
بِكــرٌ تَــسامَى فــضلُها فهــيَ الــتي مــن مــستميح نَوالــها لا تَــسْأَمُ
خيرُ الفِدَى بحرُ النَدَى رِيٌّ الصدَى كَنْــزُ الجَــدَى تَهَــبُ العَطــاءَ وتُــنعِمُ
تعنــو لخِــدْمتها البريَّــةُ أَســفلاً ولــها الملائــكُ في الأعــالي تَخــدِمُ
قــد قَوَّضَــت ظُلَــمَ الــضَلالِ لأَنَّهــا عَلَــمُ الــهِدايةِ والطِــرازُ المُعلَــمُ
هــيَ مَــسكِنُ اللهِ العظــيمِ وإِنَّهــا قُــدْسُ المقــادسِ والخِبــاءُ الأَعظَــمُ
والكوكبُ السَحَريُّ نورُ العرش مَن دانــت لــهُ شمــس الــضُحَى والأَنجُــمُ
هــذه هــي الحَجَــرُ الكــريمُ قــد اجتبا هُ وهــامَ فيــهِ الفيلــسوفُ الأَكــرَمُ
مُــذ حَــلَّ فيهــا عاقــداً جِــسماً لــهُ أُقنومُــــهُ شــخصٌ بــهِ مُتقــنِّمُ
مُتنزِّهــاً لاهوتُــهُ عــن لازمٍ لكنَّمــا ناســوتُهُ مُتَقــنِّمُ
ربٌّ بــسيطٌ جِــسمُهُ متركّــبٌ يمــشي فيُعيــي أَو يجــوعُ فــيطعَمُ
أُقنومُــهُ فَــذٌّ ولــيسَ بتَــوْأَمٍ وكِــلا الطبيعــةِ والمــشيئةِ تَــوْأَمُ
يــا عُمْــدتي في شِــدَّتي ومَعُــونتي ببلــيَّتي والفــوزُ فيمــا يَعظُــمُ
فلأَمْــدَحَنَّكِ مــا حَييــتُ وإِنْ أَمُــتْ فلتَمْــدَحنَّكِ تُــرْبَتي والأَعظُــمُ
حقٌّ على الأَفلاكِ مدحُكِ في العُلَى لــو كــانَ للأَفــلاك نُطــقٌ أَو فــمُ
فعلــى مــديحكِ أَجمعَــت وتجمَّعَــت عُــرْبُ البريَّــةِ كلُّهــا والأَعجُــمُ
أُهديكِ بِكرَ الفِكرِ خيرَ خريدةٍ في نَحْرِهــا دُرُّ المــديحِ مُــنظَّمُ
بــرعَ الختــامُ بهــا بمــسك ثنائِهــا فــاعظِمْ بمــدحٍ باللطــائِمِ يُختَــمُ

من قوله مناشدا أحد المسيحيّين الزعماء
وقد كان محاميا عن أبناء الكنيسة
استنشده إيّاه أحد الأتقياء الكاثوليكيّين
ابتغاء لحمايته لهم (سنة ١٧٤٥)

بجاهِ التي قد شرَّفَ اللهُ قَدْرَها ... فحارَ بمعْنَى سِرّها كلُّ عالمِ
هيَ الآيةُ العُظمَى وسيطةُ جِنسنا ... شفيعتُنا يومَ اجتِزاءِ المآثمِ
هيَ الهيكلُ الأَسنَى لسُكنَى إلهنا ... يسوعَ هُوَ ابنُ الآبِ ثاني الأقانمِ
هي الكوكبُ الوَضَّاحُ يَهدِي ضِياؤُهُ ... لِمَن ضلَّ في ظِلِّ الذُنُوبِ القواتمِ
إذا مَسَّتِ الضَرَّاءُ فاقصِدْ جَنابَها ... تَجِدْ عِندَها السَرَّاءَ عن ثغر باسمِ
لَقد حَسَمَت عنَّا وَثاقَ ذُنوبنا ... فكانت لحَسْمِ الداءِ أفضلَ حاسمِ
إليكِ أَأُمَّ اللهِ قد جِئتُ سائلاً ... نَوالَ نداكِ الهاملِ المتراكمِ
فما مُنقِذٌ إلاّكِ للمرءِ إن بُلِي ... بآزفةٍ من سُوءِ شرٍّ مُداهِمِ
أُرجِّي بكِ الشُفعَى لصَفْحِ مآثمي ... لَدَى حاكِمي ألاّ يَكُونَ مُحاكِمي

من قوله مستغيثاً حين كان في حلب عامّيًا (سنة ١٧١٦)

لـــي رَجـــاءٌ موطّـــدٌ بإلـــهٍ   عفـــوُهُ واســـعٌ جميـــعَ الخطايـــا
قـــد تَعـــالَى ظُهـــورُهُ وخَفـــاهُ   مـــن عِيـــانٍ وحيطـــةٍ في النوايـــا
خَــلِّ خِــلّ العَنَــا بمــا أَنــتَ تُعنَــى   مــن زَمــانٍ هُــوَ البِلَــى والبلايــا
وارجُ أُمَّ الإلـــه وابـــغِ قَـــضاها   إنَّهـــا الفَـــوزُ في جميـــع البرايـــا
صُــفوةُ اللّهِ منــذُ ســالفِ عــصرٍ   قــد حَباهــا أَســنَى الــهِباتِ الـسنايا
مَــن تراقَــت أَقــدامها كــلَّ شأْوٍ   وتــسامت علــى جميــع البرايــا
وتعالــت علــى مُتــونِ طِبــاقٍ   بــالعُلَى والبَهــا وحُــسنِ الــسجايا
أُمُّ ربٍّ أَتَــى بإكمــال شــرعٍ   ويــزينُ القيــاسَ صِــدقُ القــضايا
وينــادِي علــى المنــابر ديــنٌ   هَــدَمَ الكُفــرَ منــذُ أَسَّ الوصــايا
أيُّهــا المفتــدي الأَنــامَ وقــد كــا   نــوا بعــدلِ الإلــهِ أَسْــرَى ســبايا
ببتــولٍ سَــمَت بــأَسمَى مَقــامٍ   مَــن إلى قُدسِــها تُحَــثُّ المطايــا
خُــصَّني مــن خَــصاصتي يــا إلــهي   نِعمــةً منــكَ فَهْــيَ أَبقَــى البقايــا
واعــفُ عــن زَلَّــتي بفــضلِكَ واسمَــحْ   عــن ذُنــوبٍ تطــولُ فيهــا الحكايــا
وَقِــني مــن مطــامحي وأَقِلْــني   عَثْــرةَ الكِبْــرِ فَهْــيَ أَرزى الرزايــا
وأَعِــذْني مــن بَلْــوةٍ داهمَــتْني   يــا عِيــاذي مــن داهمــات البلايــا

- دير مار يوحنّا الصابغ - الخنشارة: البدايات
- الدير بأبنيته الحاليّة

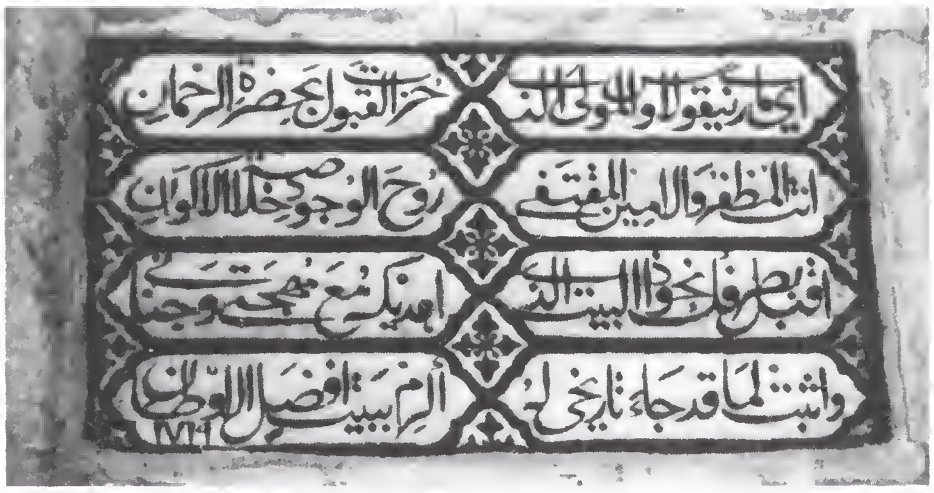

– رتاج التأريخ الشعريّ لكنيسة القدّيس نيقولاوس

– رخامة مدفن الخوري نيقولاوس في كنيسة دير الملاك ميخائيل، زوق مكايل

المصادر والمراجع

- إدلبي، ناوفيطوس، **تاريخ الراهبات الباسيليّات الحلبيّات ودير الملاك ميخائيل**، بيروت - لبنان ١٩٨٥.
- الباشا، قسطنطين، **تاريخ طائفة الروم الملكيَّة والرهبانيَّة المخلّصيَّة**، الجزء الثاني. صيدا - لبنان ١٩٣٩.
- بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربيّ**. ترجمة محمود فهمي حجازي، القسم الثامن، مصر ١٩٩٥.
- توتل، فردينان، **وثائق تاريخيَّة عن حلب**، (أخبار الموارنة وما إليهم من ١٦٠٦ إلى يومنا)، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت - لبنان ١٩٥٨.
- حاج، أثناسيوس، **الرهبانيَّة الباسيليَّة الشويريَّة (الحلبيَّة - البلديَّة)، في تاريخ الكنيسة والبلاد**، الجزء الأوّل، لبنان ١٩٧٣.
- حتّي، فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج ١ و٢، دار الثقافة، بيروت - لبنان ١٩٨٣.
- سباط، بولس، **الفهرس**، الجزء الثالث. القاهرة - مصر ١٩٣٩.
- الشمّاس، يوسف، **خلاصة تاريخ الكنيسة الملكيَّة**، الجزء الثالث، صيدا - لبنان ١٩٥٢.
- شيخو، لويس، **شعراء النصرانيَّة بعد الإسلام**، الطبعة الثالثة، بيروت - لبنان ١٩٨٢.
- شيخو، لويس، **كتاب المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة**، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان ٢٠٠٠.
- الصائغ، نيقولاوس، **ديوان الأب الفاضل والعالِم العامل الصالح الذِكر الخوري نيقولاوس الصائغ**، المطبعة الكاثوليكيَّة، الطبعة السادسة، بيروت - لبنان ١٨٩٠.

- عانوتي، أسامة، **الحركة الأدبيَّة في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر**، منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت - لبنان ١٩٧١.
- عطا، غريغوريوس، **مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيّين الكاثوليكيّين**، بيروت - لبنان ١٨٨٤.
- عون، دانيال، **تاريخ رهبانيَّة الراهبات الباسيليّات الشويريّات في مرحلتها التوحيديَّة ١٧٣٠-١٩٤٠**، جونية - لبنان ١٩٩٤.
- كحّالة، جوزيف إلياس، **تاريخ كنيسة الروم الملكيّين بحلب**، حلب - سورية ٢٠٠٥.
- كحّالة، عمر رضا، **معجم المؤلّفين، تراجم مصنّفي الكتب العربيَّة**، الجزء الثالث عشر، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت - لبنان، بدون تاريخ.

- مجلّة **المشرق**، المجلّد السادس ١٩٠٣، بيروت - لبنان.
- مجلّة **المسرّة**، السنوات ١٩٢١، ١٩٢٨، ١٩٥١، حريصا - لبنان.
- مجلّة **حياة وعمل**، السنة السادسة ١٩٥١، لبنان.

K.
Kahalé Joseph Elie, *Les Patriarches de l'Église Melchite d'Antioche depuis 1724*, Paris, France, 2000.

Kahalé Joseph Elie, *Abadallah Zakher, philosophe, théologien, et fondateur de l'imprimerie arabe en Orient*, Paris, France, 2000.

Kahalé Joseph Elie, *Introduction à l'histoire de la congrégation des Pères Choueirites*, ALTEREDIT, Paris, France, 2001.

Karama Raphael, *Masader Tarikhya* (chronique des événements de Syrie, Liban de 1745 à 1800) présenté par Basil Kattan, Beyrouth, Liban, non daté.

N.
Nasrallah Joseph, *Histoire du mouvement littéraire dans l'Église melchite du Ve au XXe siècle*, vol. IV, tome 2, Louvain, 1989.

R.
Russel Alexander, *The Natural History of Aleppo*, London, 1794.

S.
Sbath Paul, *al-Fihris*, (catalogue de manuscrits), vol. I, II, III, le Caire, Égypte, 1939.

Y.
Yatim Michel avec la collaboration de I. Dick, *Tarikh al-kanisa al-charkia wa aham ahdass al-kanisa al-gharbia*, (l'histoire de l'Église Orientale et Occidentale), 2e édition, Alep, Syrie, 1963, 3e édition, Jounieh, Liban, 1991.

Revues

al-Machreq.

al-Maçarat.

Bulletin paroissial d'Alep de l'Église grecque melchite catholique, Alep, Syrie.

Le bulletin de la paroisse grecque catholique, Saint Julien le Pauvre, 1993-1998, Paris, France.

Hayat wa Amal, n° 9-10-11.

Ecco d'Orient, 1908.

Bibliographie

A.

Ata Gregorios, *Mukhtasar tarikh ta'ifat al-rum al-Malakiyin al-Kasolik*, (abrégé de l'histoire de l'Église grecque melchite catholique), Beyrouth, Liban, 1884.

B.

Bacha Costantin, *Tarikh ta'ifat al-rum al-malakia wa-l-rahbaniyya al-mukhalisiya*, (l'histoire de l'Église grecque melchite et la congrégation salvatorienne) v. 1 et 2, Saïda, Liban, 1933-1939.

C.

al-Chammas Yousef, *Kholasat tarikh al-kanisa al-malakia*, (abrégé de l'histoire de l'Église melchite) vol. II, III, Saïda, Liban, 1949-1952.

Cheikho Louis, *Catalogue des manuscrits des auteurs Arabes chrétiens depuis l'Islam*, Beyrouth, Liban, 1924.

D.

Dibsse Yousef, *Min tarikh Suria al-dunyawi wa-l-dini*, (l'histoire de Syrie), vol. VII-VIII, Beyrouth, Liban, 1903-1905.

Dick Ignace, *Les Melkites*, Belgique, 1994.

E.

Edelby Néophytos, *Assakifat al-rum al-malakiyin bi Haleb fi al-'asr al-hadis* (les évêques contemporains d'Alep), Alep, 1983.

Edelby Néophytos, *Tarikh al-rahibat al-basilyat al halabiat wa dair al-malak mikhail fi zouk mikaiel,* (l'histoire des religieuses basiliennes alépines et du monastère saint Michel à Zouk), Liban 1985.

H.

Hag Athanas, *al-Rahbaniya al-basilia al-choueyria fi tarikh al-kanisa wa al-bilad*, (la congrégation Choueirite dans l'histoire de l'église et du pays), vol. I, II, Liban, 1974-1978.

Hag Athanas, *Safha min tarikh ar-rahbaniya al-basilia al-choueyria al-malakia*, (page de l'histoire de la Congrégation Choueirite melchite), beyrouth, Liban, 1948.

J.

Jok Timothée, *Jésuites et Chuerites*, U.S.A., 1936.

Après avoir occupé entre 1720 et 1727 plusieurs charges importantes au sein de sa congrégation, il fut élu en cette dernière année supérieur général, poste qu'il occupa, à l'exception d'une petite interruption de deux ans (1730-1732), jusqu'à sa mort survenue le 17 décembre 1756.

C'était un homme d'une grande sagesse qui fut l'âme de son ordre.

En fait, Nicolaos fut le véritable fondateur de la congrégation choueirite dans ses deux branches, les religieux et les religieuses. Grâce à lui des couvents choueirites ont vu le jour : Saint Michel, Saint Georges al-Chir, Navicella de Rome, Saint Elie de Zahlé, Saint Jean de Choueir, la maison mère, et enfin le couvent des religieuses, l'Annonciation.

Nicolaos consacra la plus grande partie de son activité intellectuelle aux ouvrages de spiritualité. Bien que contreversiste habile, il ne put s'adonner à ce genre littéraire, la polémique, à cause de ses responsabilités dans l'administration de ses religieux. Ses thèmes préférés furent surtout religieux (Jésus-Christ, la Théotokos, les saints, les dogmes, la Fête-Dieu) et parfois circonstanciels (condoléances, voeux et souhaits) et sont réunis dans un recueil volumineux : *Diwan al-Khouri*.

Voici la nomenclature de ses principales œuvres :

1. De la vie religieuse.
2. Constitution de l'Ordre choueirite.
3. Recueil d'homélies pour les dimanches et les fêtes principales de l'année.
4. Recueil de lettres.
5. Traité en deux parties sur « les fastes de la liturgie de l'Église melchite ».
6. « Pro-cortia » de la Fête-Dieu.
7. Recueil de poésies.

Nicolaos al-Sayegh
(1692-1756)

Nicolaos Ibn Ni'ma, surnommé Sayegh[1] parce que sa famille était bijoutier. Il est le cousin germain du diacre Abdallah Zakher, créateur de l'imprimerie arabe en Orient.

Nicolaos est né à Alep en 1692. Quoique d'une famille de rite grec orthodoxe dont le père avait émigré de Hama, il connut comme les jeunes de la génération de l'époque, l'essor de la renaissance culturelle et grandit dans un milieu favorable au catholicisme qu'il ne tarda pas à embrasser officiellement pour en devenir un membre éminent.

Après avoir reçu sa première éducation dans les écoles primaires de la ville, il paracheva sa formation littéraire auprès du cheikh Sulaïman al-Nahawi (le grammairien). Comme Nicolaos songeait au sacerdoce, il apprit la philosophie et la théologie auprès de l'iconomos Michel Baja', prêtre de l'évêché d'Alep à avoir envoyé sa profession de foi à Rome, à la fin du XVII^{e} siècle.

En 1716, Nicolaos se rendit, en compagnie de son ami Michel Haddad, à Saint Jean de Choueir où il commença son noviciat. Un an après il prononça ses voeux et fut, en 1719, ordonné prêtre, et en 1720, élu deuxième intendant de sa congrégation. « Dès lors il exerça une action plus directe sur ses confrères. Les ressources qu'il savait si bien obtenir des riches négociants d'Alep lui permirent d'améliorer la situation matérielle de la maison[2]... ». Et c'est ainsi qu'il put construire l'église Saint Nicolas de Saint Jean de Choueir. Puis il acheta les terres d'Abi Ghanem pour y installer le couvent de Saint Michel de Zouk.

---

[1] A. Hag, t. I, p. 585-591 / C. Bacha, t. II, p. 330-333 / P. Sbath, vol. III, n° 1530.1538, p. 51-52 / G. Ata, p. 49-50 / R. Karama, p. 7, 12, 14, 18, 20 / al-Chammas, t. III, p. 35-36 / A. Hag, *Safha min...*, p. 23 / Edelby, *Tarikh al-rahibat...*, p. 24-25 / L. Cheikho, *Catalogue des manuscrits...*, p. 131 / J. Nasrallah, *Histoire du mouvement...*, vol. IV, t. II, p. 109-111 / al-Maçarat, 1921, p. 368, 1928, p. 129-404, 1951, p. 278 / al-Machreq, t. VI, p. 97-111.

[2] P. Bacel, *Nicolaos al-Sayegh, religieux choueirite*, EO, 1908, p. 75.

Cet ouvrage

Le but de cet ouvrage est de faire connaître une des grandes personnalités d'Alep du XVIII^{ème} siècle. Nicolaos al-Sayegh n'est autre que le cousin du philosophe d'Alep et inventeur de l'imprimerie arabe en Orient Abdallah al-Zakher.

Nous avons voulu commémorer, à travers les pages de ce livre, la mémoire des 250 ans de la mort du curé Nicolaos al-Sayegh, et publier également les poèmes qu'il a composés sur la mariologie en louant la sainteté de la Sainte Vierge

« Je vous loue durant ma vie et après ma mort la terre et l'Éminent continuerons les louanges »[1].

Avec la participation de notre frère Georges Kahalé et notre sœur Marie Solange Kahalé, nous dédions ce livre à la mémoire de nos parents Elias Kahalé et Victoria Zarif épouse Kahalé qui reposent pour l'éternité.

Paris, le 11 mai 2008 **Joseph Elie Kahalé**

---

[1] Nicolaos al-Sayegh, *Diwan al-Khouri* (recueil de poésies), p. 58.

Avant propos

L'église melchite catholique d'Antioche a célébré le 17 décembre 2006 la mémoire d'une de ses grandes personnalités qui a quitté ce monde pour la vie éternelle avec notre Seigneur Jésus Christ.

Il était le savant et l'étoile qui a illuminé la vie religieuse mystique de l'église melchite catholique et a instruit et guidé, durant sa vie, un grand nombre de religieux. Il était un exemple par son travail et ses vertus, le berger fidèle pour son troupeau. Il était la lumière qui éclaire leur chemin, le gardien de leur vie spirituelle et laïque. Il mérite, à l'époque contemporaine, d'être nommé père de la vie spirituelle de l'église melchite d'Antioche, car c'est lui qui en a établi les règles de vie religieuse et les a envoyées à Rome, où le Pape les a confirmées après les avoir examinées... C'était le curé Nicolaos al-Sayegh, le poète d'Alep.

Il y a eu un grand nombre d'écrits sur la renaissance intellectuelle alépine au XIX^{ème} siècle. Ils étaient nombreux ceux qui considéraient ces écrits comme le point de départ du mouvement intellectuel alépin vers les autres pays arabes. Mais pour nous, la renaissance intellectuelle alépine avait déjà commencé d'une façon timide au XVII^{ème} siècle et a continué son chemin avec ses savants du XVIII^{ème} siècle. Nicolaos al-Sayegh est un de ses savants. Il n'était pas seulement un religieux mystique, mais aussi un écrivain et historien de la congrégation alépine des pères choueirites depuis sa fondation jusqu'aux derniers jours de sa vie.

Il était également poète et il a laissé un recueil de poésies traitant de différents sujets. Il a adopté le style littéraire et technique qui était pratiqué à son époque. Il a montré en composant ses poèmes une grande capacité littéraire par la description des événements et par le récit historique, en s'adaptant au goût de ses contemporains dans des thèmes divers.

NICOLAOS AL-SAYEGH

ET SES POÈMES POUR LA SAINTE VIERGE

PAR

JOSEPH E. KAHALÉ

AL-KALIMA
2008

نيقولاوس الصائغ

وأشعاره في مدح مريم العذراء

جوزيف إلياس كحّالة

الكلمة
٢٠٠٨